ISSN 2347-2456

شعارنا الوحيد إلى الإسلام مرجديد

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

٦٨ المجلد

العدد السابع – المجلد الثامن والستون

ذو الحجة ١٤٤٣هـ – محرم ١٤٤٤هـ – أغسطس ٢٠٢٢م

كل عام وانتم بخير

- تعالوا نستقبل العام الجديد ! (افتتاحية العدد)
- الصراع بين الحق والباطل في ضوء سورة الكهف
- الالتفات أسلوب إعجازي للقرآن الكريم
- ميزان الله عصمة من الضياع
- مسؤولية الوالدين في العصر الراهن
- من مقتضيات حب النبي صلى الله عليه وسلم
- المخاطر في الصكوك الإسلامية
- المناهج النقدية الحديثة في محك النقد
- كتب فلسفية كثيرة ..... ولكن ..... !
- إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب.٩٣، لكناؤ. الهند

If undelivered please return to:

Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,
Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.

Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com

العبقري العصامي !

العبقري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده ، وما ينفع عمليًا ، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق ، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية ، وينفض عن كل ما يأخذه من الغرب غبارًا لصق به في القرون المظلمة ، وفي عصر الثورة على الدين ، وفي حالة توتر أعصاب وقلق نفوس ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية ، مما توصل إليه أساتذتها الغربيون .

العبقري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد ، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق ، وكقرين تفوّق في بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منه ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تُراث النبوة ، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيرًا ، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيرًا ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منه أفضل مما يتعلمه هو من الغرب ، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنات الغرب والشرق ، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية ، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع. هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقودًا في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقًا الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغارًا متواضعين كالأقزام.

(سماحة العلامة الندوي رحمه الله)

الاشتراكات السنوية

- **في الهند**

أربع مأة (بالبريد العادي)	٤٠٠ / روبية
ست مأة و عشرون(بالبريد المسجل)	٦٢٠ / روبية
ثمن النسخة	٤٠ / روبية

- **في العالم العربي ، وفي جميع دول العالم:**

٥٠ /دولارًا بالبريد الجوي ، أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

- المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك: باسم "البعث الإسلامي"

AL-BAAS, A/C NO. 10863759846
IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157
STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر) ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI
MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT , NADWATUL ULAMA
P.O. BOX. 93, LUCKNOW - 226007 - U.P. (INDIA)

بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٦٨

مؤسسة الصحافة والنشر

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

August 2022

أغسطس ٢٠٢٢م

العدد السابع – المجلد الثامن والستون – ذو الحجة ١٤٤٣هـ – أغسطس ٢٠٢٢م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع،وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

المشرف العام

العلامة السيد

محمد الرابع الحسني الندوي

رئيس التحرير

سعيدالأعظمي الندوي

مدير التحرير

محمد فرمان الندوي

مساعد التحرير المسئول عن المكتب

محمد عبد الله المخدومي الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg,
Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826

Email: albaas1955@gmail.com , info@albasulislami.com

محتويات العدد

العدد السابع ـ المجلد الثامن والستون ـ ذو الحجة ١٤٤٣هـ ـ أغسطس ٢٠٢٢م

❖ **الافتتاحية :**

تعالوا نستقبل العام الجديد ! — سعيد الأعظمي الندوي — ٥

❖ **التوجيه الإسلامي :**

الصراع بين الحق والباطل في ضوء سورة الكهف : دراسة عامة — سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ٩

ميزان الله عصمة من الضياع — الشيخ الطاهر بدوي — ١٤

❖ **الدعوة الإسلامية :**

الالتفات أسلوب إعجازي للقرآن الكريم — الدكتور محمد ك باندي كادو — ١٨

مسؤولية الوالدين في العصر الراهن في ضوء الكتاب والسيرة النبوية — د . السيد شجاع الدين عزيز القادري — ٢٧

من مقتضيات حب النبي صلى الله عليه وسلم — الأستاذ رفيع الدين حنيف القاسمي — ٣٤

❖ **الفقه الإسلامي :**

المخاطر في الصكوك الإسلامية — الدكتور عز الدين بن زغيبة — ٤٣

سفر النساء للحج دون محارم — أ . د . المفتي محمد مصطفى عبد القدوس الندوي — ٥١

❖ **دراسات وأبحاث :**

كتب فلسفية كثيرة ..... ولكن ..... ! — فضيلة الشيخ فاروق صالح باسلامة — ٦٤

المناهج النقدية الحديثة في محك النقد — أ . د . مجيب الرحمن الندوي — ٦٨

❖ **رجال من التاريخ :**

اللواء الركن / محمود شيت خطاب — الدكتور غريب جمعة — ٧٦

الإمام علاء الدين علي بن أحمدالشافعي المهائمي رحمه الله — الأخ محمد سلمان الندوي البجنوري — ٧٩

❖ **في مسيرة الحياة :**

٤٨ / سنةً في ظلال تربية الإمام العلامة أبي الحسن الندوي — سعيد الأعظمي الندوي — ٨٢

❖ **صور وأوضاع :**

إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ — محمد فرمان الندوي — ٨٧

❖ **أخبار علمية وثقافية :**

١. رحلة تعليمية وإصلاحية إلى ولاية مهاراشتر (الهند) — مدير التحرير — ٩١

٢. نشاطات علمية وثقافية في رحاب ندوة العلماء — الأخ عمر محمد غزالي — ٩٦

❖ **إلى رحمة الله تعالى :**

١. العالم الكبير الشيخ الرحالة محمد بن ناصر العبودي إلى رحمة الله تعالى — قلم التحرير — ١٠١

٢. العالم الرباني الشيخ محمود آفندي إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠١

٣. الأستاذ الطبيب السيد أحمد الحسني الندوي في ذمة الله تعالى — " " " — ١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تعالوا نستقبل العام الجديد !

إن التقويم الإسلامي الذي يبتدئ مع طلوع الهلال لشهر المحرم كل عام يذكّرنا بالواجبات التي فرضها الله سبحانه وتعالى على أمة الإسلام ، وكان من أهم الأمور والعبادات في كل شهر إسلامي فريضة الحج وأداء واجباتها لمجرد رضا الله تعالى ، فطواف البيت مثلاً من أعظم الأمور المختصة بفريضة الحج ، وقد تحدث القرآن عن هذه العبادة الجليلة بغاية من الأهمية فقال تعالى : (ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ) (البقرة : ١٩٧) .

ولا شك فإن نفي الرفث والفسوق والجدال في هذه العبادة الخالصة يعد وحده ليس غير ، من أهم الواجبات التي فرضها الله سبحانه على عباده للتقرب إليه لكي لا تتلوث هذه العبودية لله تعالى بجانب سيئ في حياتنا الحاضرة التي تحاول صرف الأنظار عن المعاصي ونتائجها الخبيثة التي لا يألو الشيطان جهداً في نشرها وتلويث حياتنا بها حتى يكتب لنا الحرمان من كل خير في الدنيا والآخرة .

هناك طوائف من الناس تترقب مبدء الشهر الإسلامي الأخير (ذي الحجة) لكي توفي نذورها من الأوهام التي تختلج في الصدور وتترقب نهاية العام الهجري مع بدء العام الجديد الذي تتجدد فيه الحياة وتنشط فيه العزائم على تقوية الشئون الحية التي يؤدي في توسعة نطاق ذلك النشاط الإيماني الذي يلعب دوراً بارزاً في توطيد الغيرة الإسلامية وتجديد العواطف الإيمانية التي قد تؤثر العوامل المادية في إضعاف جوانبها المرضية والمطلوبة عند الله تعالى ، وقد أشار كتاب الله تعالى إلى مثل هذا المعنى فقال : (يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ) (سورة فاطر : ٥) ، وقال : (يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات : ١٣) .

ومن هنا المنطلق ندرس شهر محرم الذي يطلع على العالم كله بتميزاته الكبيرة وتطلعاته الجليلة التي يترقبها المسلمون ويعزمون على إنجاز برامج الحب والإيمان ، وقد يلعب هذا الشهر الجديد للعام الجديد من أدوار الأمن والإيمان وصالح الأعمال ما يحير العقول ، ويغير الآراء في تقوية العلاقة الصادقة من الإيمان والعمل الصالح ، والاعتماد الكامل على الله تعالى لإرساء جميع الجوانب المطلوبة التي خلقها الله سبحانه في هذا العالم البشري والمادي ، ومن ثم أحاط الله تعالى حياة الإنسان المسلم بأركان تلعب دوراً متميزاً في إسعاد جوانب الحياة وتوطيد دعائم العز والشرف من الدين الإسلامي الخالد الدائم الذي (لاَّ يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) .

إذا تأملنا ودرسنا المواصفات التي خُلق عليها الإنسان واستعرضنا التميزات التي ميز الله تعالى بها الإنسان أدركنا منها صلة العبودية والمعبودية بين الله سبحانه وخلقه المتميز " الإنسان " ووصلنا إلى أن هذا الخلق العاقل قد ارتبط بربه تبارك وتعالى ، يقول أستاذنا العلامة الإمام سماحة العلامة أبي الحسن علي الندوي في كتابه " الأركان الأربعة " : " تأمل في صفات هذا الإنسان المخلوق ، واستعرض كل ما اتصف به من ضعف وعجز ، وفقر وفاقة ، ثم انظر إلى طموحه الذي لم يُعرف لأي مخلوق ، ونهامته للماديات أو المعنويات التي تفوق كل شره ونهامة عند أكبر حيوان ، وإلى حاجاته التي لا يشاركه مخلوق آخر في كثرتها وتنوعها ودقتها ، وإلى آماله ومطامعه التي لا تكاد تنتهي ، ثم انظر إلى غريزة الحب والحنان ، والخضوع والانحناء المودعة في هذا الإنسان .

أما احتاج هذا الإنسان إلى أن يكون في خضوع دائم ، وفي ركوع أو سجود لا انقطاع لهما ، وفي مناجاة ودعاء لا نهاية لهما ، أمام الرب

الذي هو الإله الحق ، والجواد المطلق ، والذي أعطاه من كل ما سأل بلسان القال أو بلسان الحال ؟ " ، (الأركان الأربعة لسماحة العلامة الندوي رحمه الله) .

وقد بيّن الله تعالى معاني البرّ بغاية من الوضوح ، وأكد أن هذا الكنز الخفي ليس في التوجه إلى المشرق والمغرب ، إنما هو مستور في الإيمان بالله واليوم الآخر ، وقد تحدث الله تعالى عن هذا الموضوع بغاية من الوضوح فقال : (لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَٱلْمَلآئِكَةِ وَٱلْكِتَابِ وَٱلنَّبِيِّينَ وَآتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلاَةَ وَآتَى ٱلزَّكَاةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَٱلصَّابِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ) (البقرة : ١٧٧) .

ليست الاستمرارية في طلوع الشمس وغروبها ولا التعددية في بيان الأيام والليالي في كتاب الله تعالى إلا رمزاً إلى تلك الآيات البينات التي لا يعقلها إلا العالمون الذين أكرمهم الله سبحانه باللب والعقل ، وهم لا ينفكون عن عبادة الله تعالى ، وبالتفكير فيما خلقه سبحانه في السماوات والأرض من آيات بينات تدل على قدرته الكاملة وأوامره السماوية بغاية من التفكير في جميع الدقائق والثواني الدائمة المستمرة من خلال أوامر الله سبحانه وصناعته العالمية .

أعتقد أن استقبال هذا الشهر يؤكد تلك الإجراءات الكونية التي وضعها الله سبحانه في خلق العالم الأرضي والسماوي ، وأن ذلك الطريق الكوني يستمر إلى يوم القيامة التي ذكرها الله تعالى في كتابه العظيم في مناسبات عديدة عن الخلق والأمر ، كما يقول الله تعالى في سورة البقرة وهو يتحدث عن الظالمين المانعين عن ذكر الله تعالى في المساجد ، وباذلين جهودهم في خرابها : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَّنَعَ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ أُوْلَـٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلاَّ خَآئِفِينَ لَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا

خِزْيٌ وَلَهُمْ فِى ٱلآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (البقرة : ١١٤) .

وقد بين الله تعالى حقيقة التوحيد ورفض الشرك في أي جزء من العالم ، فما من شيئ فيه إلا ويسبح بحمده ، وإن كان صغيراً لا يعبأ به ، ذاك أن الكائنات بكاملها تحت أوامره وفي إشرافه ، ليل نهار ، صباح مساء ، بل في كل لمحة من لمحات الليل والنهار وفي كل دقيق وجليل من الكون والإنسان ، وكل ذلك مشغول بحمد الله تعالى وتسبيحه وعبادته والحصول على نعمه من الرضا والدخول في جنات النعيم ، يشير كتاب الله تعالى إلى هذه الحقيقة الدائمة القائمة بقوله : (قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلاً . سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً . تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَاوَاتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـٰكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً) (الإسراء : ٤٢ – ٤٥) .

ولقد كان حج بيت الله تعالى في هذا الشهر من كل عام عبادة لها قيمتها العظيمة في قائمة العبادات التي تفرض على أهل البصر والبصيرة وعلى من استطاع إلى أدائها في ضوء تعاليم الله تبارك وتعالى التي تحدث عنها في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد صرح الله تعالى بآداب هذه العبادة التي لها صلة وطيدة بالبيت وبالأحكام التي يراعيها الحاج في أداء هذه العبادة الجليلة ، يقول الله تعالى : (ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَأُوْلِى ٱلأَلْبَابِ) (البقرة : ١٩٧) .

نكتفي بهذه الكلمة الوجيزة راجين من الله سبحانه أن يوفقنا إلى التعمق في معاني هذه العبادة العظيمة ، وموعدها في شهر ذي الحجة الحرام .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٤٣/١٢/٧هـ

٢٠٢٢/٧/٧م

الصراع بين الحق والباطل

في ضوء سورة الكهف : دراسة عامة

(الحلقة الأولى)

بقلم : سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي

تعريب : محمد فرمان الندوي

فضائل سورة الكهف :

وردت فضائل سورة الكهف في الحديث النبوي ، وهي تشير إلى تلاوتها يوم الجمعة بكل اهتمام ، قال صلى الله عليه وسلم : من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق (سنن الدارمي ، كتاب فضائل القرآن ، باب في فضل سورة الكهف : ٣٤٧٠) ، وجاء في حديث آخر أن سورة الكهف تعصم الإنسان من فتنة الدجال ، قال صلى الله عليه وسلم : من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال (صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل سورة الكهف : ١٩١٩) .

بين الكهف والغار :

الكهف مكان متسع للسكن ، ومفتوح في الجبل ، بحيث يسكن فيه الإنسان ، وبنيت فيه حجرة يعرف بالكهف ، أما الفجوة الغائرة غير المنتظمة التي تكون في الجبل ، يستظل منها الإنسان ، ويأوي إليها وقت الحاجة ، تعرف بالغار ، ويكون الطريق إلى هذا الغار معوجاً ، ولا يكون مستقيماً ، لأن الجبل تكثر فيه الوهاد والنجاد ، وتكون فيه مغارات ومدخلات ، ومن هذا القبيل غار ثور وغار حراء في مكة المكرمة .

غاية قصص القرآن :

لم تُذكر قصص القرآن الكريم للاطلاع على شيئ جديد ، ولنبأ خارق أو كأسطورة من الأساطير ، بل لها علاقة وطيدة بالحياة الإنسانية ، علاقة لا تتقيد بوقت محدود ، بل تتسع هذه العلاقة إلى آخر

حياة الإنسان ، وتكون هذه القصص مثالاً له إلى الموت ، ويمكن أن تعود مثل هذه الظروف في كل زمن بعد قصة أصحاب الكهف ، فيستنير الإنسان فيها قبسات من هذه السورة ، لأنه يمر بأحوال مضادة في حياته ، تارة بالسراء ، وأخرى بالضراء ، فأمثال هذه القصص تهدي الإنسان إلى المنهج القويم في الحياة الإنسانية .

حكمة قصص سورة الكهف :

كانت قصة أصحاب الكهف عند اليهود أكثر شهرةً ، وذلك بأسلوب خاص ، وقد حرَّض اليهود مشركي مكة لاختبار محمد (صلى الله عليه وسلم) لأن يسألوه عن أصحاب الكهف ، وكان اليهود يعرفون أن محمداً أمي ، فيكون غافلاً عن هذه القصة ، وإذا سأله المشركون فلا يمكن أن يجيب عنها ، فيفتضح أمام الناس ، لكن الله تعالى ذكر في هذه السورة قصة أصحاب الكهف بكاملها ، فحكى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامهم ، إن قصة أصحاب الكهف فارق بين المادية والروح ، ذكر الله فيها قصة جماعة ، استماتت في سبيل الله تعالى ، وتركت وطنها واختفت بالغار ، صيانةً لإيمانها وعقيدتها .

وردت في هذه السورة قصص أخرى ، منها قصة أصحاب الكهف ، وقصة موسى والخضر عليهما السلام ، وقصة ذي القرنين ، وقصة صاحب الجنتين ، ولم يكن من وراء هذه القصص غرض إلا ليعرف الإنسان الفرق بين الأسباب ومسبب الأسباب ، وبين الغاية والوسائل ، جعل الله تعالى في هذه الدنيا نظاماً تكوينياً ، فكما أن الماء يسيل إلى أسفل مكان لا إلى أعلاه ، كذلك يجري نظام العالم تحت حكمة إلهية ، ويُخيل أحياناً إلى الإنسان أن التدبير هو الأصل وراء هذا النظام ، وليس أمامه حقيقة ظاهرة ، هذا ما كشفه الله في هذه السورة ، وفي هذه السورة وردت قصص تدل على أن الله يغير شيئاً في نظام العالم ، عبرةً لأولي الأبصار ، وتكون وراء هذا التغير غاية دينية ، ليعلم الإنسان أن الله تعالى يغير في نظام الدنيا لمصلحة دينية .

كان صاحب الجنتين في هذه السورة يبخل بماله ، ولا يعطي الفقراء حقوقهم ، فطاف على جنته طائف من السماء وأحيط بثمرها ، ولا شك أن الله يذيق عباده العصاة من العذاب الأدنى قبل العذاب الأكبر ، ويكون معنى العذاب عقاباً ، أو أذىً ، فتهدف بعض الأزمات

في الدنيا للاتعاظ وإيقاظ الناس من غفلتهم ، فينبه الله الإنسان على اختياره طريق الضلال ، ويجعل له نظاماً تكوينياً ، فمثلاً يكون الإنسان بعض الأحيان مريضاً ، أو مبتلاً بحوادث فيكون من ورائها التنبيه والزجر من معاصيه ، وقد كان عقاب صاحب الجنتين من إهلاك حرثه ليتوب إلى الله تعالى ، ويتأسف على ما فعل .

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم قصصاً خارقةً للعادة ، وليس لأي إنسان قدرة فيها ، ويتفكر الإنسان أيضاً فيها فيتضح منها ضعفه واستكانته ، وأن الله قادر مقدر لها قبل وقوعها ، فأحياناً ينزل أشياء ، ويجعل الإنسان يعمل فيها بوسائله ، فيكون حيراناً ، ذلك ليعلم أن كل شيئ بيد الله تعالى ، ويفعل ما يشاء .

قصص سورة الكهف تشتمل على ظواهر الحياة الإنسانية :

إن قصص سورة الكهف تحيط بجميع مراحل الحياة الإنسانية ، وهذه المراحل في حاجة إلى الإيمان بالله تعالى ، وتوجد في هذه السورة من القرآن الكريم قصص ونماذج لها ، فكان موضوعها الصراع بين الإيمان والمادية ، ما هو الإيمان ؟ وما هي المادية ؟ وجَّه القرآن الإنسان في هذه السورة إلى كيفية خروجه من أوحال المادية ، وكيف يتحلى بحلي الإيمان ويعيش حياته بهدوء وطمأنينة .

ترجع قصة أصحاب الكهف إلى زمن كان فيه للمشركين جولة وصولة ، وساد الشرك كل مكان ، ففي هذه الأحوال قام فتية آمنوا بشريعة عيسى عليه السلام ، وواجهوا الظلم والاضطهاد بسبب هذا الإيمان ، وقد أووا إلى غار ، وناموا فيه ، فسلط الله عليهم النوم إلى ثلاث مأة سنة ، ولما استيقظوا لم يقدروا مدة نومهم ، بل شعروا بأنهم ناموا كثيراً ، فسأل بعضهم بعضاً : كم نمتم ؟ فقال أحدهم : نمنا ساعةً ، ثم قالوا : نشعر بالجوع ، فماذا نفعل ؟ فأعدوا رجلاً لأخذ الطعام من السوق ، وأعطوه ورقاً ، وقالوا له أن يخفي أمرهم ، ولا يذهب إلى مكان يعرفهم سكانه ، وإلا يأخذونهم لأنهم خرجوا من مناطقهم خفيةً ، ويطلعون الآن على أننا فررنا منهم ، وإذا عرفوك حبسونا وعاقبونا عقاباً شديداً ، فاذهب إلى السوق سراً ، وهات بالطعام ، فذهب ذلك الرجل إلى دكان ، وأخذ الطعام ، ثم دفع إلى البائع ورقه ، وكان هذا الورق من قديم الزمان ، وكانت لهجة كلام المشتري أيضاً مختلفة ،

فانتشر هذا الخبر ، فإن سكان هذه البلاد سُرُّوا باكتشاف هؤلاء الفتية ، وقالوا : كنا نسمع من آبائنا وأجدادنا أن فتية منا قد غابوا فراراً بدينهم ، وذهبوا إلى مناطق شاسعة ، لا شك أن هؤلاء هم الفتية ، فثارت ضجة كبرى ، وأحاطهم الناس من كل جانب ، وقد تبدلت الآن الحكومة المشركة ، وتاب الناس من الشرك ، ودخلوا في الإسلام ، وفرحوا من وجودهم فرحاً كثيراً ، وقرروا أن يبنوا مسجداً قريباً من كهفهم تذكاراً لهم .

أثبت الله تعالى من هذه القصة أن الدنيا وإن كانت خاضعةً للأسباب ، لكن يأتي الله أحياناً بتدبير ديني بدلاً من تدبير دنيوي ، كما هو قادر على كل شيئ بدون تدبير وحكمة ، سلط الله تعالى النوم على أصحاب الكهف في زمن الكفر والشرك ، وأيقظهم في زمن الإسلام ، وما زالوا نائمين إلى ثلاث مأة سنة ، وما ماتوا ، فيدل هذا على أن الله يبعث الموتي ، ويحييهم مرةً ثانيةً ، وكان أصحاب الكهف في زمن عيسى عليه السلام ، فأشار الله بهذا إلى أن دين عيسى كان حقاً ، لكن أتباعه غيروا فيه ما غيروا ، واعتبروا عيسى عليه السلام ابن الله بدلاً من أن يؤمنوا به رسولاً ونبياً .

أصحاب الكهف :

أول ما ذكر الله تعالى في هذه السورة قصة أصحاب الكهف ، الذي تفانوا بكل شيئ في سبيل الدين والعقيدة ، وقاوموا كل نوع من التحديات ، فكان جزاؤهم من عند الله تعالى أولاً أنه حفظهم ورعاهم من كل مكروه ، وثانياً أراد الله تعالى أن يعرف الناس هذه الحقيقة : أن كل من يستميت في سبيل الله جعل الله له قبولاً في الدنيا والآخرة ، وقد جعلهم الله في نوم إلى ثلاث مأة سنة ، يحسبهم الناظر يقظين ، لكنهم كانوا نائمين ، وعندما هبوا من نومهم فكانت هناك سلطة للمؤمنين ، وتغيرت الأحوال ، فأكرمهم الناس إكراماً ، وجعل الله أصحاب الكهف مثالاً ، وخلد ذكرهم في القرآن الكريم ، ليعلم المسلمون وغيرهم أن كل من كان لله كان الله له ، وأكرمهم بالجزاء الأوفى وإن كان ذلك على سبيل المعجزة ، وكان من آية الله تعالى أنهم ناموا مدة ثلاث مأة سنة ، بدون غذاء وطعام ، ولم تأكل الأرض أجسامهم ، ولم تتأثر بها ، فقدر الله لهم غذاءً روحياً من عنده ، بحيث كانت أجسامهم مصونةً ، وكانوا مأمونين من كل خطر ، مما يستفاد من هذه

القصة أن من كان لله أيده الله بنصره .

إن الله تعالى لم يترك العالم سدى ، ولم يخلقه عبثاً ، بل يدبر أمره فيه ، وينفذ قانونه ، وقد جعل الله تعالى نظام العالم للابتلاء والامتحان ذاك أن كل شيئ يكون فيه بالوسائل والذرائع ، وإذا كان الأمر بالعكس لم يكن للإنسان فيه عصيان وكفران ، وكان الإنسان مسيراً لا مخيراً ، وأحياناً يميز الله تعالى بين نظام الوسائل وبين أمره مباشرة ، ليتضح أن الوسائل ليست هي الأصل ، بل المالك الحقيقي هو الله الواحد القهار .

دروس مستفادة من قصة أصحاب الكهف :

ترشدنا قصة أصحاب الكهف إلى أن الإسلام دين ناسخ للأديان ، لا يبقى معه دين ولا شريعة ، فإذا كان الوضع خطيراً كان من اللازم أن يستعد الإنسان للمجازفة بحياته ، ويستيقن بتغير الأحوال من الله تعالى ، ويعتقد أيضاً أن كل من كان طموحاً ، ذا همة عالية ، ظهرت نتائج عمله حسنة ، كما أشار الله إلى ذلك وهو يرفع شأن المؤمنين قال : وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ (آل عمران : ١٣٩) .

أراد الملك المشرك أن يجبر أصحاب الكهف على الانصباغ بصبغته الشركية ، وإلا جعل لهم نكالاً شديداً ، لكن أصحاب الكهف ثبتوا على إيمانهم كالجبال الراسيات ، وقالوا : ربنا رب السماوات والأرض ، لن نشرك بربنا أحداً ، وأعلنوا بكل قوة : لن نساوم الكفر والشرك ، ولا نصاحب المشركين ، ونحن مستعدون لذلك بكل نوع من التضحيات ، فتنازلوا عن كل راحة ومتاع ، وأووا إلى الغار ، فأكرمهم الله تعالى بجزاء أكبر ، وجعلهم من معجزاته الكبرى ، وحينما استيقظوا من نومهم كانت رياح الإيمان تهب ، ورايات الإسلام ترفرف في كل مكان .

تدل قصة أصحاب الكهف على قدرة الله الكاملة ، فهو قادر على كل شيئ في دقائق وثوان ، وإذا قارنا بين أوضاع بلادهم حينما أووا إلى الغار ، وبين الأوضاع حينما هبوا من نومهم عرفنا أن الأحوال تغيرت بمشيئة الله تعالى ، وقد أثبت الله بهذه القصة أمام الناس أن الله هو المؤثر الحقيقي في قلب الأوضاع ، وقد أحيا الله أصحاب الكهف إلى مدة طويلة ليتكشف هذا الواقع أمامهم وأمام عامة الناس ، وإلا يمكن أن يقبض الله أرواحهم حال نومهم ، وكان سبب نجاتهم في الآخرة أنهم آمنوا بالله عز وجل . (للحديث صلة)

ميزان اللّه عصمة من الضياع

الشيخ الطاهر بدوي*

إن للعقل البشري وزنه وقيمته بوصفه أداةً من أدوات المعرفة والهداية في الإنسان . هذا حق ، ولكن هذا العقل البشري هو عقل الأفراد والجماعات في بيئة من البيئات ، متأثر بشتى المتأثرات ، ليس هناك ما يسمى " العقل البشري " كمدلول مطلق !

إنما هناك عقلي وعقلك وعقل فلان وعلان في مكان ما ، وزمان ما . . . وهذه كلها واقعة تحت مؤثرات شتى ، تميل بها من هنا وتميل بها من هناك . . . فلابد إذاً من ميزات ثابتة ترجع إليها هذه العقول الكثيرة ، فتعرف عنده مدى الخطأ والصواب في أحكامها وتصوراتها ، ومدى الشطط والغلو ، أو التقصير والقصور في هذه الأحكام والتصورات ، وقيمة العقل البشري هنا هو أنه الأداة المهيأة للإنسان ، ليعرف بها وزن أحكامه في هذا الميزان . . . الميزان الثابت ، الذي لا يميل مع الهوى ولا يتأثر بشتى المؤثرات .

ولا عبرة بما يضعه البشر أنفسهم من موازين ، فقد يكون الخلل في هذه الموازين ذاتها ، فتختل جميع القيم مالم يرجع الناس إلى ذلك الميزان الثابت القويم الصادر من رب العالمين الذي خلق الصنعة فأتقن صنعها ، ثم أعد لها منهج صيانتها وحمايتها ، فحرسها بالعين التي لا تنام وأكنفها بالكنف الذي لا يضام .

والله سبحانه وتعالى يضع هذا الميزان للبشر ، للأمانة والعدل ولسائر القيم ، وسائر الأحكام ، وسائر أوجه النشاط في كل حقل من حقول الحياة قال جل ذكره مخاطباً الذين انقادوا له مخيَّرين ، فاختاروه إلها لهم لينظم حياتهم كما أراد هو ، لأنهم يعلمون علم اليقين أنه الإله الذي خلقهم والذي يحبهم والذي يعلم كيف يسعدون هنا في هذه الأرض

* كبير علماء الجزائر .

بالخلافة التي أنيطوا بها وفي الآخرة دار النعيم المقيم ، يخاطبهم ويضع أسس أداء الأمانة إلى أهلها وكيفية إقامة العدل بين الناس ، يقول لهم تعالى : " يَا أَيُّهَا ٱلَّذينَ آمَنُواْ أَطيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً " . (النساء : ٥٩) .

وفي هذا النص البليغ يبين الله سبحانه شرط الإيمان وحدَّ الإسلام في الوقت الذي يبين فيه قاعدة النظام الأساسي في الجماعة المسلمة وقاعدة الحكم ومصدر السلطان . . . وكلها تبدأ وتنتهي عند التلقي من الله وحده ، والرجوع إليه فيما لم ينص عليه نصّاً ، من جزئيات الحياة التي تعرض في حياة الناس على مدى الأجيال مما تختلف فيه العقول والآراء والأفهام . . . ليكون هنالك الميزان الثابت الذي ترجع إليه العقول والآراء والأفهام .

إن " الحاكمية " لله وحده في حياة البشر ، ما جلَّ منها وما دقَّ وما كبر منها وما صغر . والله سبحانه قد سنَّ شريعة أودعها قرآنه ، وأرسل بها رسولاً عليه أزكى الصلاة والسلام ، يبينها للناس ، ولا ينطق عن الهوى " إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَىٰ " (النجم : ٤) ، فسنته على أنواعها الثلاثة القولية والفعلية والسكوتية من ثم شريعة من شريعة الله . . . وفي آية أخرى يؤكد تعالى هذا المفهوم بقوله : " مَّنْ يُطعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ " (النساء : ٨٠) ، " وَمَآ آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ " (الحشر : ٧) ، فالرسول الكريم هو المفوّض من قبل الله تعالى ليشرع لأمته ، على خلاف سائر الأنبياء والمرسلين الذين كلفوا فحسب بتبليغ الناس أوامر الله تعالى وتوجيهاته .

ولله واجب الطاعة ، ومن خصائص ألوهيته أن يسن الشريعة ، فشريعته واجبة التنفيذ . . . وعلى الذين آمنوا أن يطيعوا الله ابتداء ، وأن يطيعوا الرسول صلى الله عليه وسلم بما له من هذه الصفة ، صفة الرسالة من الله تعالى ، فطاعته إذن من طاعة الله الذي أرسله بهذه الشريعة وببيانها للناس في سنته ، وسنتُه وقضاؤه على هذا جزء من الشريعة فهو واجب النفاذ أيضاً . . . والإيمان يتعلق وجوداً وعدماً بهذه الطاعة وهذا التنفيذ بنص القرآن نفسِه : " إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ " . فأما أولوا

الأمر ، فالنص الكريم يعين من هم . . . فهم من المومنين (منكم) أي الذين يتحقق فيهم شرط الإيمان وحد الإسلام المبيّن في الآية الكريمة ، من طاعة الله وطاعة الرسول وإفراد الله تعالى بالحاكمية وحق التشريع للناس ابتداءً والتلقي منه وحده ، فيما نص عليه والرجوع إليه أيضاً فيما تختلف فيه العقول والأفهام والآراء ، مما لم يرد فيه نص ، لتطبيق المبادئ العامة في النصوص عليه .

وإذا أمعنت النظر وتأملت جيداً في النص الكريم تجده يجعل طاعة الله وطاعة الرسول كلتيهما أصلاً ويجعل طاعة " أولي الأمر منكم " ، تبعاً لطاعة الله وطاعة رسوله . . . فلا يكرر لفظ الطاعة عند ذكرهم ، كما كررها عند ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم ليقرر أن طاعتهم مستمدة من طاعة الله وطاعة رسوله بعد أن قرر أنهم " منكم " بقيد الإيمان وشرطه ، فولي الأمر لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً ، فعليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحكم في رعيته شريعة الله ورسوله وإذا اجتهد فيما ليس فيه نص صريح فطبقاً لمبادئ الشرع الحنيف . . . فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق سبحانه .

وطاعة أولي الأمر " منكم " بعد هذه التقريرات كلها ، في حدود المعروف المشروع من الله تعالى والذي لم يرد نصٌّ بحرمته ، ولا يكون من المحرم عندما يرد إلى مبادئ شريعته السمحة عند الاختلاف فيه ، والسنة تقرر حدود هذه الطاعة على وجه الجزم واليقين : لقد ورد في الصحيحين من حديث الأعمش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إنما الطاعة في المعروف " . وفيهما أيضاً من حديث يحي القطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " السمع والطاعة على المرء المسلم ، فيما أحب أو كره ، ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة " . وأخرج مسلم من حديث أم الحصين : " ولو استعمل عليكم عبد ، يقودكم بكتاب الله ، اسمعوا وأطيعوا " .

بهذا يجعل الإسلام كل فرد أميناً على شريعة الله وسنة رسوله الكريم ، أميناً على إيمانه هو ودينه ، أميناً على نفسه وعقله ، أميناً على مصيره في الدنيا والآخرة ، ولا يجعله بهيمةً في القطيع ، تزجر من هنا أو من هنا فتسمع وتطيع . . . أو كالحمار الذي يحمل أسفاراً . . . لا

يدري ولا يعي ولا يعقل لا يدري من حمّله وما حمله وإلى أين يذهب بحمولته . . . فالمنهج واضح وحدود الطاعة واضحة ، والشريعة التي تطاع والسنة التي تتبع واحدة لا تتعدد ، ولا تتفرق، ولا يتوه فيها الفرد بين الظنون ذلك فيما ورد فيه نص صريح . فأما الذي لم يرد فيه نص ، وأما الذي يعرض من المشكلات والأقضية على مدى الزمان وتطور الحاجات واختلاف البيئات ولا يكون فيه نص قاطع ، أو لا يكون فيه نص على الإطلاق ، مما تختلف في تقديره العقول والآراء والأفهام ، فإنه لم يُترك كذلك تيهاً ولم يترك بلا ميزان ، ولم يترك بلا منهج للتشريع فيه والتضريع . . . ووضع هذا النص القرآني الكريم ببلاغته العجيبة ، منهج الاجتهاد كله ، وحدّده بحدوده وأقام " الأصل " الذي يحكم منهج الاجتهاد أيضاً ، قال تعالى : " فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّه وَٱلرَّسُول " (النساء : ٥٩) ، والمراد به ردوه إلى النصوص التي تنطبق عليه ضمناً ، فإن لم توجد النصوص التي تنطبق على هذا النحو فردوه إلى المبادئ الكلية العامة في منهج الله وشريعته . . . وهذه ليست عاتمةً ولا فوضى ولا هي من المجهلات التي تتيه فيها العقول كما يحاول بعض المخادعين أن يقول ، وهناك في هذا الدين مبادئ أساسية واضحة كل الوضوح تغطي كل جوانب الحياة الأساسية وتضع لها سياجاً خرقه لا يخفى على الضمير المسلم المضبوط بميزان هذا الدين .

تلك الطاعة لله والطاعة للرسول ولأولي الأمر المؤمنين القائمين على شريعة الله وسنة رسوله الكريم ورد ما يتنازع فيه إلى الله والرسول . . . هذه وتلك شرط الإيمان بالله واليوم الآخر كما أنها مقتضى الإيمان بالله واليوم الآخر . . . فلا يوجد الإيمان ابتداءً وهذا الشرط مفقود ، ولا يوجد الإيمان ثم يتخلف عنه أثره الأكيد . . . فبهذا تسعد البشرية في الدنيا والآخرة وتتمتع بالسّلام كله وبكل السلام على إطلاقه الناتج عن إقامة العدل والمساواة بين الناس وتحكيم شرع الله ورسوله في الحياة . . . فليست المسألة أن أتباع هذا المنهج يؤدي إلى رضا الله تعالى وثواب الآخرة وهو أمر عائل عظيم ولكنه كذلك يحقق خير الدنيا وحسن مآل الفرد والجماعة في هذه الحياة القريبة التي هي بدورها مطية الآخرة .

الالتفات
أسلوب إعجازي للقرآن الكريم

الدكتور محمد ك باندي كادو*

الالتفات هو أسلوب جذاب ، فيه جمالٍ وخيال . ورد استعماله في اللغة العربية منذ قديم الزمان ، ونرى أمثلةً كثيرةً لذلك في الشعر الجاهلي . ويوجد هذا الأسلوب في القرآن الكريم كثيراً ، أريد أن أبين في هذه المقالة عن الالتفات في القرآن الكريم ، تعريفه وأقسامه وفوائده .

تعريف الالتفات :

الالتفات لغةً : من فعل (لفت) ، وهو بمعنى الصرف أي صرف الشيئ عن جهته إلى جهة أخرى . والالتفات عند البلاغيين هو الانتقال بالكلام من صيغة كل من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى صيغ أخرى لمقتضيات ومناسبات تظهر بالتدبر في مواقع الالتفات . يقول الإمامٍ الزركشي : " الالتفات هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطريةً واستدراراً للسامع ، وتجديداً لنشاطه ، وصيانةً لخاطره من الملال والضجر ، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه ، كما قيل :

" لا يصلح النفس إن كانت مصرفة إلا التنقل من حال إلى حال " [1]

الأسماء للالتفات :

يرجع أصل تسمية المصطلح البلاغي بالالتفات إلى الأصمعيّ . وسُمي بأسماء أخرى منها " الترك والتحويل " التي تعود للنحويّ أبي عبيدة معمر بن المثنى . كما سمى أبو زكريا الفراء هذه الطريقة اللغوية باسم " الانتقال " .

أخيراً سُميت باسم " محاسن الكلام " بواسطة ابن المعتز في

* الأستاذ المشارك، الكلية الحكومية، جرور، كيرالا، الهند. Mail: mhdpkd@gmail.com

[1] البرهان ، الزركشي ، ج ٣ ، ص ٣١٤ .

كتابه " البديع " .

أما في اللغات الأخرى ومنها الإنجليزية فكلمة " Enallage " هي كلمة من أصل إغريقي تعني الاستبدال .

الالتفات في القرآن :

ويعتبر القرآن هو أكثر الكتب استخداماً لهذا الأسلوب ، حيثُ تم استخدام الالتفات في القرآن إلى ما يُقارب ٩٠٠ مرة . ونرى في القرآن الكريم أسلوب الالتفات على أنواع مختلفة منها :

الأول : الالتفات العددي :

هو تبديل عدد المتكلمين والمخاطبين ، وهو أيضاً ستة أنواع :

١) الانتقال من الجمع إلى المفرد :

كما قال الله تعالى : (قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [١] .

هنا انتقل من الجمع المتكلم في " قُلْنَا " إلى مفرد متكلم في " مِّنِّى " .

٢) الانتقال من الجمع إلى المثنى :

كما قال الله تعالى : (يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ . فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) [٢] .

هنا انتقل من الجمع في " ٱسْتَطَعْتُمْ " إلى المثنى في " تكذبان " .

٣) الانتقال من المثنى إلى المفرد :

كما قال الله تعالى : (فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ) [٣] . هنا انتقل من المثنى في " يُخْرِجَنَّكُمَا " إلى المفرد في " فَتَشْقَىٰ " .

٤) الانتقال من المثنى الى الجمع :

كما قال الله تعالى : (وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ) [٤] . هنا انتقل من

---

[١] البقرة : ٣٨ .

[٢] الرحمن : ٣٤ .

[٣] طه : ١١٧ .

[٤] يونس : ٨٧ .

المثنى في " لقَوْمِكُمَا " إلى الجمع في " وَٱجْعَلُوا " .

٥) الانتقال من المفرد إلى المثنى :

كقوله تعالى : (قَالُوٓا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ) [١] . هنا انتقل من المفرد في " أَجِئْتَنَا " إلى المثنى في " لَكُمَا " .

٦) الانتقال من المفرد الى الجمع :

كما قال الله تعالى : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لعدَّتهنَّ . . .) [٢] . هنا انتقل من المفرد في " ٱلنَّبِىُّ " إلى الجمع في " طَلَّقْتُمُ " .

الثاني : الالتفات بنسبة الضمائر :

ينقسم الالتفات بنسبة الضمائر إلى أقسام هي :

١) الالتفات من التكلم إلى الخطاب :

كقوله تعالى : (وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [٣] .

والأصل : وإليه أرجع ، فالتفت من التكلم إلى الخطاب .

٢) الالتفات من التكلم إلى الغيبة :

كقوله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) [٤] .

حيث لم يقل : فصل لنا .

٣) الالتفات من الخطاب إلى التكلم :

كقوله تعالى : (قُلِ اللّهُ أَسْرَعُ مَكْراً إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ) [٥] .

على أنه سبحانه نزل نفسه منزلة المخاطب ، فالضمير في (قُلِ) للمخاطب ، وفي (رُسُلَنَا) للمتكلم .

٤) الالتفات من الخطاب إلى الغيبة :

كقوله تعالى : (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ، يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ) [٦] .

---

[١] يونس : ٧٨ .
[٢] الطلاق : ١ .
[٣] يس : ٢٢ .
[٤] الكوثر : ١ – ٢ .
[٥] يونس : ٢١ .
[٦] الزخرف : ٧٠ – ٧١ .

فانتقل من الخطاب إلى الغيبة ، ولم يقل: يطاف عليكم .

٥) الالتفات من الغيبة إلى التكلم :

كقوله تعالى : (وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً) [١] .

فانتقل من الغيبة إلى التكلم ، ولم يقل : وَزَيَّن .

٦) الالتفات من الغيبة إلى الخطاب :

كقوله تعالى : (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء) [٢] ، ولم يقل : كان لهم .

الثالث : الالتفات بنسبة المُخاطبينَ :

وكذلك نرى في القرآن الكريم تبديل المخَاطَبين ، بحيث يكون المخاطَب اللّهَ نفسه والناس والنبي والمؤمنون والكفار والمشركون والجن والإنس كلاهما . أورد هنا أمثلة لكل منها :

١) **اللّه :** يقول اللّه تعالى : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [٣] . المخاطَب هنا هو اللّه نفسه

٢) **الناس :** يقول اللّه تعالى : إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [٤] . المخاطبون هنا هم الناس جميعاً .

٣) **النبي :** يقول اللّه تعالى : نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ [٥] . في هذه الآية المخاطب النبي صلى اللّه عليه وسلم .

٤) **المؤمنون :** يقول اللّه تعالى : سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا وَفَرَضْنَـٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [٦] . هنا المراد بالضمير في " لَّعَلَّكُمْ " المؤمنون .

٥) **الكفار والمشركون :** يقول اللّه تعالى : أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَـٰنَهُ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ [٧] . هنا المراد بالضمير في " تَسْتَعْجِلُوهُ " الكفار

---

[١] فصلت : ١٢ .
[٢] الإنسان : ٢١ – ٢٢ .
[٣] الفاتحة : ٥ .
[٤] يوسف : ٢ .
[٥] يوسف : ٣ .
[٦] النور : ١ .
[٧] النحل : ١ .

والمشركون .

٦) **الجن والإنس :** يقول الله تعالى : فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ [١] . هنا يعود الضمير في " رَبِّكُمَا " إلى الجن والإنس .

الرابع : الالتفات بنسبة المتكلمين :

القرآن كله من كلام الله تعالى ، ولكن نرى في آياته الكريمة يبدل الله المتكلمين بغير إعلام نفهمه من قرائنه فقط . وهذا الأسلوب أيضاً من الالتفات . أورد هنا بعض الأمثلة .

١) **الله :** كقوله تعالى : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [٢] . في هذه الآية المتكلم هو الله تعالى .

٢) **النبي صلى الله عليه وسلم :** كقوله تعالى : قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ [٣] .

هذا المَقال من النبي صلى الله عليه وسلم ، نفهمه من السياق فقط .

٣) **المؤمنون :** كقوله تعالى : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [٤] . هذا الدعاء من المؤمنين نفهمه من السياق فقط .

٤) **الملائكة :** كقوله تعالى : وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ [٥] . هذا الكلام من الملائكة نفهمه من السياق فحسب .

٥) **جبريل :** كقوله تعالى : وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا [٦] . هذه الأقوال يقولها جبريل ، لا نعلمه إلا بالقرينة .

الخامس : الالتفات بنسبة الخبر والإنشاء :

وكذلك نرى الالتفات في القرآن أسلوب الالتفات بنسبة الخبر والإنشاء . وهذا أيضاً قسمت بأنواع مختلفة كما يأتي :

---

[١] الرحمن : ١٦ .
[٢] الحجرات : ١٣ .
[٣] الأنعام : ١٠٤ .
[٤] الفاتحة : ٥ .
[٥] الصافات : ١٦٤ – ١٦٦ .
[٦] المريم : ٦٤ .

١) الالتفات من الخبر إلى الإنشاء :

ومثاله قول الله تعالى في سورة آل عمران : قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّه هُوالْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُو الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ [١] . هنا الآية الأولى خبرية ، والثانية إنشائية .

٢) الالتفات من المفرد إلى الجملة أو شبه الجملة :

ومثاله : قول الله تعالى : حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّه به وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ [٢] . ولم يقل وأكيلة السبع ، لأن بناء الأكيلة ينقسم إلى معنى المأكولة ومعنى المؤاكِلة .

٣) الالتفات من الاسم إلى الفعل والعكس :

فأما الالتفات من الاسم إلى الفعل فكما في قول الله تعالى : فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا [٣] . وأما الالتفات من الفعل إلى الاسم فكما في قول الله تعالى : يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ من الحيّ [٤] .

٤) الالتفات من الفعل المضارع إلى الماضي والعكس :

فالالتفات من الفعل المضارع إلى الماضي كما في قول الله تعالى : إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ [٥] . الالتفات من الفعل الماضي إلى المضارع كما في قول الله تعالى : تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا [٦] .

أغراضه وفوائده :

إن كثيراً من علماء البلاغة يرون أن للالتفات غرضاً رئيسياً واحداً ، وهو : رفع السآمة من الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب ، فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة ، ومن المتكلم إلى الخطاب أو الغيبة ، فيحسن الانتقال من بعضها إلى بعض ؛ لأن الكلام المتوالي على

---

[١] آل عمران : ٧١ – ٧٢ .
[٢] المائدة : ٣ .
[٣] الأنعام : ٩٦ .
[٤] الأنعام : ٩٥ .
[٥] الشعراء : ٤ .
[٦] الفرقان : ١

ضمير واحد لا يستطاب . مع هذا ، أن المتتبع للالتفات في القرآن الكريم يجد له أغراضاً أخرى .

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في القرآن الكريم :

١) التهديد والتخويف :

قوله تعالى : (وَأَذَانٌ مِّنَ اللّه وَرَسُوله إِلَى النَّاس يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَر أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوخَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّه وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [١] ، ومحل الالتفات هو في قوله تعالى : (فَإِن تُبْتُمْ فَهُوخَيْرٌ لَّكُمْ) ، ولو لم يلتفت لقال : (فإن يتوبوا) ، والغرض من هذا الالتفات من الغيبة إلى الخطاب هو التهديد والتخويف .

٢) التوبيخ والتقريع :

قوله تبارك وتعالى : (وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُون) [٢] ، فالتفت في قوله تعالى : (لَتُسْأَلُنَّ) من الغيبة إلى الخطاب لكي يواجههم بالتوبيخ والتقريع .

٣) التشديد على طلب الشيئ :

قوله تبارك وتعالى : (لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً) [٣] . ومحل الالتفات من الغيبة إلى الخطاب هو في قوله تعالى : (وَاتَّقِينَ اللَّهَ) ، ولم يقل : ويتقين الله ، وفي السياق فضل تشديد في طلب التقوى منهن .

٤) التخفيف من شدة الأمر :

قوله تعالى : (أَيَّاماً مَّعْدُودَات فَمَن كَانَ منكُم مَّرِيضاً أَوعَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوخَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [٤] .

وموضع الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى : (وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ) ، ولم يقل : وأن يصوموا خير لهم ، وفيه تخفيف من

---

[١] التوبة : ٣ .
[٢] النحل : ٥٦ .
[٣] الأحزاب : ٥٥ .
[٤] البقرة : ١٨٤ .

كلفة الصوم بلذة المخاطبة .

٥) التعجب والاستبعاد :

قوله تعالى : (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عندَ رَبِّهِمْ جَنَّات النَّعيمِ . أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلمينَ كَالْمُجْرِمين . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) [١] . والالتفات في قوله تعالى: (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) ، والغرض منه التعجب والاستبعاد .

٦) العتاب :

قوله تعالى : (عَبَسَ وَتَوَلَّى . أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى . وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى) [٢] . وفي الانتقال من الغيبة إلى الخطاب في قوله : (وَمَا يُدْرِيكَ) معنى العتاب .

٧) التخويف والتذكير :

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى : (ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالقينَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلكَ لَمَيِّتُونَ) [٣] . فانتقال السياق من الغيبة إلى الخطاب في قوله : (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلكَ لَمَيِّتُونَ) ،لأن التخويف والتذكير بالموت إنما يناسبه الخطاب .

٨) التشريف :

قوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى منَ الْمُؤْمنينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتلُونَ في سَبيلِ اللّه فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْه حَقّاً في التَّوْرَاة وَالإِنجيلِ وَالْقُرْآن وَمَنْ أَوْفَى بعَهْده منَ اللّه فَاسْتَبْشرُواْ بِبَيْعكُمُ الَّذي بَايَعْتُم به وَذَلكَ هُوَالْفَوْزُ الْعَظيمُ) [٤] . فنلاحظ تحول السياق من الغيبة إلى خطاب المؤمنين في قوله : (فَاسْتَبْشرُواْ بِبَيْعكُمُ الَّذي بَايَعْتُم به) ، لأنَّ في خطابهم بذلك تشريفاً لهم .

٩) الامتنان :

قوله تعالى : (ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فيه من رُّوحه وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئدَةَ قَليلاً مَّا تَشْكُرُونَ) [٥] . والالتفات إلى الخطاب في قوله : (وَجَعَلَ لَكُمُ)، والغرض هو الامتنان .

---

[١] القلم : ٣٤ – ٣٦ .
[٢] عبس : ١ – ٤ .
[٣] المؤمنون : ١٤ – ١٥ .
[٤] التوبة : ١١١ .
[٥] السجدة : ٩ .

١٠) الاختصاص والاستحقاق :

قول الله تعالى : (مَالك يَوْمِ الدِّينِ . إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [١] . وتقديم الضمير (إِيَّـــاكَ) مع هذا الانتقال إلى الخطاب يدل على المبالغة في الاستحقاق والاختصاص .

١١) المبالغة في الحث :

ومن ذلك قوله تبارك وتعالى : (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُـلِّ شَـيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُـذُواْ بِأَحْـسَنِهَا سَـأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِـقِين) [٢] . والالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله : (سَـأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ) ، والغرض هو المبالغة في الحث على الأخذ .

١٢) التأكيد على الشيئ :

قوله تعالى : (ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيّاً . وَإِنْ مِـنْكُمْ إِلَّـا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) [٣] . والالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا) ، والغرض منه التأكيد .

هكذا نرى في القرآن أساليب الانتقال ، وقد أراد الله بها معاني كثيرةً . وإن التعلم والتفكر والتدبر بهذا الطراز يفيد علم الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم . ولله التوفيق .

المراجع :

١. الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج ٣ ، ص : ٣٢٥/٣٢٦ .
٢. القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة : المعاني والبيان والبديع ، دار الكتب العلميّة ، بيروت .
٣. الميداني ، البلاغة العربية : أسسها وعلومها فنونها ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٩٦ .
٤. شوقي ضيف ، البلاغة : تطور وتاريخ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٩ ، ١٩٦٥ .
٥. https://www.islamweb.net/ar/article/١٧٤١١٣
٦. https://www.alukah.net/sharia/٠/١٠٢٥٤٨

[١] الفاتحة : ٥ – ٤ .
[٢] الأعراف : ١٤٥ .
[٣] مريم : ٧٠ – ٧١ .

مسؤولية الوالدين في العصر الراهن
في ضوء الكتاب والسيرة النبوية

د . السيد شجاع الدين عزيز القادري *

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين ، وأكرم السابقين واللاحقين ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين أجمعين .

أما بعد !

فإن هذا الموضوع موضوع مهم جداً ، تزداد أهميته في العصر الراهن الذي كثرت الجهالة العمياء فيه وعمّت الأمية ، وشاعت المنكرات بجميع أنواعها من القتل والفساد وسفك الدماء والسرقة والظلم والبغي والعدوان ، لا سيّما عقوق الوالدين وإساءة الأدب معهما وترك حرمتهما والتهاون في تعظيمهما وتوقيرهما والتكاسل في خدمتهما وإهمال أمرهما وعدم العناية بشأنهما وهضم حقوقهما وغيرها من الأعمال الشنيعة والقبائح الفظيعة .

هذه حقيقة جليّة أن الإسلام منذ أوّل يومه عني عناية فائقة بتربية الأولاد الدينية وتنشئتهم الصالحة ، وحرص عليها أكثر مما حرصت الديانات الأخرى ، وأصدر أوامر مشددة للقيام بهذه الفريضة المهمة ، وحرّض الوالدين على تزويدهم بالأخلاق الفاضلة وتحليتهم بالسجايا الكريمة ، وحمّل على كواهلهما مسئولية كبرى لإرشادهم وتوجيههم إلى كافة نواحي الحياة الطيبة ، وحملهما على صوغهم بالقالب الديني ، ورسم لهما معالم تربية دينية شاملة تتكفل بالحياة الناجحة لهم في الدنيا والآخرة ، وتحافظ على سلامة العقيدة وصلاح الأعمال ، وصرّح بوظيفتهما في تربيتهم الإسلامية ، ووعدهما عليها أجراً عظيماً وجزاءً موفوراً في الآخرة ، وتوعّدهما بالعقوبة إن قصّرا في القيام بواجباتهما نحوهم ، وجعلها أفضل صدقةٍ يتصدّقها المرء ، وخير هديّة يهديها إلى أولاده ، وأعظم منحة يمنحها إياهم .

حينما نتصفح أوراق السيرة النبويّة الذهبيّة نجدها مملوءةً بإرشادات قيّمة وتوجيهات سنيّة للتربية الدينية والتنشئة الصالحة وأصولها الحكيمة وما يترتّب عليها من الثمرات النافعة والنتائج المفيدة في الدنيا والآخرة .

* رئيس القسم العربي بكلية النساء الجامعية ، الجامعة العثمانية ، حيدرآباد – الهند .

وقد وردت نصوصٌ من الكتاب والسنة تحثّ على تربيتهم الدينية وتنشئتهم الإسلامية ، وهي فريضة على المسلمين عامة ، وخاصة على الآباء والأمهات والمعلمين والمربين والمسئولين ، وهي مسئولية مهمة جداً قد ألقيت على عواتق الوالدين لا ينبغي الغفلة عنها طرفة عين ، وهي أمانة عظيمة من الأمانات الإلهية سيسأل عنها المرء يوم القيامة . أما الآيات فقوله جل جلاله :

(يا أَيُّهَا ٱلَّذينَ آمَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْليكُمْ نَاراً) [1] .

قد اختلفَت أقوال المفسرين مَن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل العلم في تفسير هذه الآية ، ومآل جميع الأقوال واحد من حيث المعنى .

فعن علي رضي الله عنه في قوله تعالى : (قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْليكُمْ نَاراً) يقول : أدبوهم وعلّموهم .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى : (قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْليكُمْ نَاراً) يقول : اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، وأمروا أهلَيكم بالذكر ينجكم الله من النار .

وقال قتادة : تأمرهم بطاعة الله ، وتنهاهم عن معصية الله ، وأن تقوم عليهم بأمر الله ، وتأمرهم به وتساعدهم عليه ، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها وزجرتهم عنها [2] .

وقال – جل جلاله – آمراً نبيه صلى الله عليه وسلم : (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَاةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا) [3] .

ومدح سيدنا إسماعيل عليه الصلاة والسلام فقال : (وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً . وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً) [4] .

حينما نَطالَع القرآن الكريم نجد فيه عدداً من القصص والحكايات التي تحمل بين جنبيها عدة عبر وعِظات يتعظ بها المتعظون ، ويعتبر بها المعتبرون ، فمن بين تلك القصص الرائعة قصة سيدنا إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وهي تدل على كمال طاعته لأبيه وانقياده لأمره واستسلامه لحكمه بدون أدنى تأمل ورويّة ، حينما بلغ أشده واستوى ،

---

[1] سورة التحريم : ٦ .

[2] راجع تفسير ابن كثير ، ٣٩٩/٤ .

[3] سورة طه : ١٣٢ .

[4] سورة مريم : ٥٤ – ٥٥ .

وصلح ليكون مساعداً له ، رأى أبوه رؤياً أنه يذبح نجله فيها ، فلما قصّها عليه وسأله : ما رأيك في هذا ؟ فأسرع فيما طلب منه فقال : (يا أَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ) [1] ، فعرض نفسه امتثالاً لأمرَ الله وباراً بأبيه ، فافتداه الله جلّ وعلا جزاءاً بصدق نيتهما وحسن طويتهما وإخلاصهما واستسلامهما لأمره وخضوعهما لحكمه ، فقال جل وعلا حاكياً عما جرى بينهما من المكالمة فقال : (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ . فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ . إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا ٱلْمُبِينُ . وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) [2] .

لم يطلب الإسلام مجرّد التربية من الآباء والأمهات ، ولم يحمّلهم المسؤولية بدون أن يرشدهم إلى الوسائل ، ويأخذ بأيديهم إلى أقوم الطريق ، بل وضع لهم في تربية الأولاد وتنشئتهم منهاجاً كاملاً ودستوراً شاملاً يبتدئ قبل الولادة ، ويصاحب الولد في طفولته وصباه ، ومراهقته وشبابه ، وشيخوخته وهرمه ، ثم يحدِّد العلاقة فيما بين الوالدين والولد بعد أن يصبح بالغاً مكلفاً ورجلاً كاملاً وإنساناً عاقلاً وشاباً سويّاً أو فتاة راشدة .

وقد ألقى النبي صلى الله عليه وسلم مسؤولية تربية الأبناء على عواتق الوالدين وأرشدهم إليها بقوله : " أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حبّ نبيكم ، وحبّ أهل بيته ، وقراءة القرآن ، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله مع أنبياء الله وأصفيائه " [3] .

الآباء مسؤولون عن أهليهم وأولادهم كمسؤوليتهم عن أنفسهم فعل الحسنات وترك السيئات ، وحب الطاعات وبغض المنكرات ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا كلكم راعٍ ، وكلكم مسئولٌ عن رعيّته ، فالأمير الذي على الناس راعٍ ، وهو مسئولٌ عن رعيّته ، والرجل راعٍ على أهل بيته ، وهو مسئولٌ عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده ، وهي مسئولة عنهم ، والعبد راعٍ على مال سيّده ، وهو مسئولٌ عنه ، ألا فكلكم راعٍ ، وكلكم مسئولٌ عن رعيّته " [4] ، فأوجب الإسلام عليهم واجبات دينية نحو تربية الأولاد ، وجعلها مسؤولية كبيرة على كواهلهم ، فمن الواجبات المهمة التي ألزمها عليهم فهي تتلخص فيما يأتي :

---

[1] سورة الصافات : ١٠٢ .

[2] سورة الصافات : ١٠٢ – ١٠٧ .

[3] راجع كشف الخفاء للعجلوني ، ٧٦/١ (١٧٤) .

[4] راجع صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، رقم الحديث : ١٨٢٩ .

(١) حسن اختيار الزوجة :

الزوجة هي التي ستصير أماً ، فتقع أولاً على عاتقها مسؤولية تربية الأولاد ، فإن صلحت صلحت تربيتهم وحسن تأديبهم ، وكذلك حسن انتخاب الأم مما يحقق لهم الخير والنجاح ، ويجنبهم السخرية وسوء العشرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تنكح النساء لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين ، تربت يداك " [١] .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تزوّجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهنّ أن يرديهنّ ، ولا تزوّجوهنّ لأموالهنّ فعسى أموالهنّ أن تطغيهنّ ، ولكن تزوّجوهنّ على الدين ، ولأمةٌ خرماء سوداء ذات دينٍ أفضل " [٢] .

هذا الحديث يدل بكل وضوح وصراحة على أن المرء ينبغي له أن يراعي في اختيار المرأة المخطوبة هذه الصفة ، وهي تحليها بالديانة والأمانة والعفة والحشمة والصلاح وتخلقها بمكارم الأخلاق وحميد الخصال وكريم السجايا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اختاروا لنطفكم المواضع الصالحة " [٣] .

هذا الحديث أيضاً يرشد المرء إلى اختيار امرأة ذات دينٍ وصلاحٍ لتنجب له ذرية طيبة صالحةٍ ، فإن حسن اختيار الزوجة ليس حقاً محضاً للزوج ، بل هو حق الولد أيضاً ، لأن الأم إذا كانت صالحة ذات دين تمكنت من الإشراف على تربيته الدينية وتنشئته الصالحة ، واستطاعت على حسن تأديبه وصوغه بالقالب الديني ، وقد اعتبرت المرأة الصالحة أفضل متاعٍ من أمتعة الدنيا ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إنما الدنيا متاعٌ ، وليس من متاع الدنيا شيئ أفضل من المرأة الصالحة " [٤] ، وعدّت خير زادٍ يتزوّده المؤمن ، وأكثر فائدة يستغلّ بها بعد تقوى الله عزّ وجلّ ، كما رويٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجةٍ صالحةٍ ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرّته ، وإن أقسم عليها أبرّته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله " [٥] .

ولهذه المصلحة نهى القرآن الكريم عن تزوّج الفتيات المشركات

---

[١] راجع سنن ابن ماجة ، باب تزويج ذات الدين ، رقم الحديث : ١٨٥٨ .
[٢] راجع سنن ابن ماجة ، باب تزويج ذات الدين ، رقم الحديث : ١٨٥٩ .
[٣] راجع سنن الدار قطني ، باب تزويج ذات الدين ، رقم الحديث : ٣٧٤٤ .
[٤] راجع سنن ابن ماجة ، باب أفضل النساء ، رقم الحديث : ١٨٥٥ .
[٥] راجع سنن ابن ماجة ، باب أفضل النساء ، رقم الحديث : ١٨٥٧ .

فقال جلّ وعلا : (وَلاَ تَنْكحُواْ ٱلْمُشْرِكَات حَتَّىٰ يُـؤْمنَّ) [1] ، وسبب ذلك النهي أنهم يحملون على أفعال يستوجبون بها النار ، كما قال تعالى : (أُوْلَـٰئكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّار وَٱللَّهُ يَدْعُوٓ إِلَى ٱلْجَنَّة وَٱلْمَغْفرَة بإِذْنه) [2] .

وروي عن عمر رضيَ اللّه عَنهَ أَنَ رَجلاً جاء إليه بابنه فقال : " إن ابني هذا يعقني ، فقال عمر رضي اللّه عنه للابن : أما تخاف اللّه في عقوق والدك ؟ فإن من حق الوالد كذا ، ومن حق الوالد كذا ، فقال الابن : يا أمير المؤمنين ! أما للابن على والدهِ حقٌّ ؟ قال : نعم ، حقه عليه أن يستنجب أمه ، يعني لا يتزوّج امرأة دنيئة لكيلا يكون للابن تعييرٌ بها ، قال : ويحسن اسمه ، ويعلّمه الكتاب ، فقال الابن : فواللّه ! ما استنجب أمي ، وما هي إلا سنديّة اشتراها بأربع مأة درهم ، ولا حسّنَ اسميِ ، سمّاني جعلا – ذكر الخفاش – ولا علّمني من كتاب اللّه آيةً واحدةً ، فالتفت عمر رضي اللّه عنه إلى الأب ، وقال : تقول : ابني يعقّني ، فقد عققته قبل أن يعقّك ، قم عني " [3] .

(٢) حسن اختيار البعل :

كما أن الولد في أمس حاجة إلى حسن اختيار الأم ، فإن من حقه أن يكون له أب صالح يؤدبه ، ويحسن تأديبه ، ويشرف على تربيته الإسلامية ، ويتعهده بالتوجيه والإرشاد إلى ما فيه صلاحه ، وهنا تقع المسؤولية على أولياء المرأة ومسئوليها أن لا يزوّجوها لأيّ خاطب شاءوا طمعاً في كسب الحطام الفاني ، قال اللّه تعالى : (وَلاَ تُنْكحُواْ ٱلْمُشركينَ حَتَّىٰ يُؤْمنُواْ) [4] ، فيجب عليهم أن يتأمّلوا في أمرها ، ويمعنوا النَظر في شَأنَها ، ويعملَوا الفكر والرويّة في اختيار بعل لها ، خصوصاً في زمن كثرت فيه التيارات المنحرفة والأفكار الفاسدة والشعارات الهدّامة ، فلذا أرشد رسولِ اللّه صلى اللّه عليه وسلم إلى أن يكون الخاطب ذا خُلُق وديانة وموصوفاً بصدق وأمانة بقوله : " إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريضٌ " [5] ، فيجب على المرأة أن لا توافق على الزواج إلا إذا وجدت خاطبها ذا ديانة وكفاءة لها ، كما قال بريدة رضي اللّه عنه : جاءت فتاةٌ إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم فقالت : إن أبي زوّجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته ، قال : فجعل الأمر إليها ، فقالت : قد أجزت ما صنع أبي ، ولكن

---

[1] سورة البقرة : ٢٢١ .

[2] سورة البقرة : ٢٢١ .

[3] راجع تنبيه الغافلين للسمرقندي ، ص ٤٦ ، باب حق الولد على الوالد .

[4] سورة البقرة : ٢٢١ .

[5] راجع سنن ابن ماجة ، باب الأكفاء ، رقم الحديث : ١٩٦٧ .

أردت أن تعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيئ "[1] .

يتضح من هذا أن المرأة أثبت لها الشرع الخيار في انتخاب البعل ، وليس لآبائها ومسئوليها أيّ حقّ في تزويجها الإجباري لمن شاءوا .

(٣) حسن اختيار الاسم :

مما يجب على الوالد من الحقوق نحو ولده : أن يحسن اسمه ، ويحسن تأديبه ، ويحسن مرضعه ، ويعلّمه القرآن ، ويعلّمه الكتابة والسباحة والرماية ، ويزوّجه إذا أدرك ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " حق الولد على والده : أن يحسّن اسمه ، ويزوّجه إذا أدرك ، ويعلمه الكتاب "[2] ، فيسمّيه باسم يفتخر به ، ويكون له سببا للكرامة والقدسية ، ولا يسمّيه بأسماء تكون له سببا للعار والمنقصة .

(٤) توفير قوت حلال :

مما يجب على الوالد من الحقوق نحو ولده أن لا يُطعمه إلا قوتاً حلالاً طيّباً ، لأن اللحم النابت من السحت فالنار أولى به ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل جسد نبت من سُحت فالنار أولى به "[3] ، فعليه أن يكدح ويجدّ لطلب القوت الحلال ليهيئ له من مطعم وملبس ومسكن من مال طيب ، ويحسن الرعاية على أهله ، لأن طلب الحلال فريضة على كل مسلم ، ويحاول لتحقيق هذه الأغراض المنشودة ليشرف على عائلته ، ويسعى في إطعامهم من رزق حلال طيب ، ويسعى في طلب المال بكسب يديه للتوسعة على الأسرة حتى يحسن رعايتها وبناءها ، وفي التوسعة على الأبناء حفظ لهم من الانحراف والفسق ، وحفظ لآبائهم من العقوق ، فالفقر يدعو إلى الفسوق ، والتقصير يدعو إلى العقوق ، والسعي في الكسب من أجل رعاية الأسرة أمر محمود ، فالقوت الحلال الطيب له تأثير عظيم في تربية الأولاد وتشئتهم منذ نعومة أظفارهم .

(٥) التربية الإيمانية :

مما يجب على الوالد من الحقوق نحو ولده أن تكون تربية الأولاد على أسس قويمة ودعائم سليمة من تعليم العقيدة الصحيحة الثابتة بالكتاب والسنة ، وتمرينهم على التكاليف الشرعية والآداب الإسلامية والأخلاق الحسنة ، وغرس بذور الشهامة والشجاعة والأمانة والصدق والعفاف في قلوبهم ، وتدريبهم على القيام بواجباتهم من العبادات ، ورعاية الصحة

---

[1] راجع سنن ابن ماجة ، باب من زوّج ابنته و هي كارهة ، رقم الحديث : ١٨٧٤ .

[2] راجع جامع الأحاديث للسيوطي ، رقم الحديث : ١١٢٨٥ .

[3] راجع كشف الخفاء للعجلوني ، ١٧٦/٢ ، رقم الحديث : ١٩٧٦ .

والاهتمام بشؤون النظافة والطهارة ، وتعليمهم شيئاً من واجباتهم الاجتماعية والثقافية ، وتحذيرهم التيّارات الفاسدة والتقاليد الكاسدة والمبادئ الهدّامة والشعارات المستوردة والرواجات المذمومة ؛ وتركيز عنايتهم على الحفاظ على أوقاتهم الغالية من الضياع والعبث والفوضى .

مما يجب على الوالد من الحقوق نحو ولده أن يعتني بتربيته الإسلامية ، ويزوّده بشرائع دينية ليعرف بها الحلال من الحرام ، ويتمكّن من تمييز الطيب من الخبيث ، ويحافظ عليه دينه وكرامته ، فيسلكه بها مسالك الصلحاء ، ويقبل على الله تعالى ، فإن التربية الإسلامية الحسنة هي التي تزيّن الأبناء بالمحاسن والفواضل ، وتزوّدهم بالفضائل ، وتجنبهم من الوقوع في الرذائل ، وتلقنهم العبادات الخالصة ، وتحليهم بالآداب الدينية والقِيم الإسلامية كلها ، فمن التعليم الديني قوله صلى الله عليه وسلم : " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرّقوا بينهم في المضاجع " [1] .

فكان الصحابة رضي الله عنهم يصوّمون صبيانهم تعويداً لهم على محبة الدين وشرائع الإسلام ليسهل عليهم امتثال الأوامر واجتناب النواهي وفعل الخيرات وترك المنكرات عند المراهقة والشباب .

وعن الربيع بنت معوّذ قالت : " أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار : من أصبح مفطراً ، فليتمّ بقيّة يومه ، ومن أصبح فليصم ، قالت : فكنا نصومه بعد ، ونصوّم صبياننا ، ونجعل لهم اللعبة من العهن ، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار " [2] .

ونحن في عصرنا هذا نمنحهم الجوالات والأجهزة الإلكترونية لتسليتهم ، لا لأجل صومهم ، فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه ، ومن تركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة ، ومعظم الأولاد إنما جاء عقوقهم وفسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وعدم مبالاتهم في شأنهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فأضاعوهم صغاراً ، فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً .

ندعو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل جهود الآباء والأمهات المبذولة نحو تربية أولادهم ، ويهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ويجعلنا للمتقين إماماً .

وصلى الله وسلم على خير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

---

[1] راجع سنن أبي داود ، رقم الحديث : ٤٩٥ .

[2] راجع صحيح البخاري ، رقم الحديث : ١٩٦٠ .

من مقتضيات حب النبي صلى الله عليه وسلم

الأستاذ رفيع الدين حنيف القاسمي *

كلّ واحد منا يدّعي أنه يحب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويكرمه ، ويجلّه ، ويتبنى أسوته ، ويصف حياته بالسيرة النبوية الشاملة ؛ ولكن إذا قمنا بالموازنة بين قوله وعمله وجدنا بينهما بوناً شاسعاً ، وهو يختار لنفسه المناهج الأرضية ، والقوانين الوضعية تاركاً سنن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهديه ، وأسوته ، ونابذاً لها وراء ظهره ، سلوكه هذا المأساوي الشنيع هو ما تنقض به دعواه بأنه يكرم سيد البشرية ، ويتأسى بذات السيرة في كل قوله وفعله ، الحب الصادق له مقتضيات ، الحب الصادق له شروط ، فمن يمتثلها ويطبقها في حياته فهو محب صادق حقّاً ، فيقول الشاعر ما معناه : من يدعي حب النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يفد من هديه فقوله سفاهة وهراء ، وكما قال الإمام الشافعي :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديعُ
لو كان حبّك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع

إن من أحب شيئاً آثر موافقته ، وإلا لم يكن صادقاً في حبه ، وكان مدعياً فقط ، فالصادق في حب النبي صلّى الله عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه ، قد تحدث علماء الأمة عن علاماته ، فيقول القاضي عياض : " ومن محبته نصرة سنته ، والذب عن شريعته ، وتمني حضور حياته فيبذل نفسه وماله دونه " . ويقول الحافظ ابن حجر : " ومن علامة الحب المذكور أن يُعرض على المرء أن لو خيِّر بين فقد غرض من أغراضه ، أو فقد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كانت ممكنةً ، فإن كان فقدها أن لو كانت ممكنةً – أشد عليه من فقد شيئ من أغراضه فقد اتصف بالأحبية المذكورة ، ومن لا فلا ، وليس ذلك محصوراً في الوجود والفقد ، بل يأتي مثله في نصرة سنه ، والذب عن شريعته ، وقمع مخالفيها ، ويدخل فيه باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " [1] .

* وادي مصطفى ، شاهين نغر ، حيدرآباد ، الهند ، rafihaneef90@gmail.com

[1] فتح الباري : قوله باب حب الرسول : ٥٩/١ ، دار المعرفة ، بيروت .

أولاً : لزوم محبته صلى الله عليه وسلم :

ومن مقتضيات حب النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون حبه أزيد من حبه أولاده وأمواله ، وسائر دنياه ، فقد قال الله عز وجل : " قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ " [1] . فيكفي هذه الآية الكريمة دلالةً وشهادةً في وجوب حب الرسول صلى الله عليه وسلم والتزام محبته أكثر من كل شيئ في الدنيا ، وإلا أوعدهم الله عز وجل بقوله : " فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦ " وقال عنهم : وهم الذين حادوا عن طريقة الهداية وسلكوا في طريق الغواية .

وهناك أحاديث أخرى تشير إلى فرضية حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، عن أنس رضي الله عنه : " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين " [2] .

وكذلك عن زهرة بن معبد عن جده قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : والله لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيئ إلا نفسي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يؤمن أحدكم حتى أكون عنده أحب إليه من نفسه ، فقال عمر : فلأنت الآن والله أحب إلي من نفسي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الآن يا عمر [3] .

ثانياً : الاقتداء به ، واستعمال سنته ، واتباع أقواله وأفعاله ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، والتأدب بآدابه في عسره ويسره ، ومنشطه ومكرهه ، وشاهد هذا قوله تعالى : " قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ " [4] . لا بد للمحب أن يقتفي آثاره صلى الله عليه وسلم واتبع هديه ، وإيثار ما شرعه ، والحض عليه وتقديمه على هوى نفسه وموافقة شهوته .

---

[1] التوبة : ٢٤ .
[2] بخاري : حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، حديث : ١٥ .
[3] مسند أحمد : حديث عبد الله بن هشام ، حديث : ١٨٠٧٦ .
[4] آل عمران : ٣١ .

ثانياً : وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم :

إن الله عز وجل جعل طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعته ، ووعد على طاعته صلى الله عليه وسلم الثواب الجزيل ، والأجر الوفير ، كما أوعد على مخالفته بسوء العقاب ، فأوجب امتثال أمره واجتناب نواهيه ، فقال الله عز وجل : " مَّنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ " [1] . كما جاء في الكتاب المجيد : " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا " [2] . وقال السمرقندي في ذلك : أطيعوا الله في فرائضه والرسول في سننه ، وقيل : أطيعوا الله فيما حرم عليكم ، والرسول فيما بلغكم ، ويقال : أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية ، والنبي بالشهادة له بالنبوة ، نحن نقدم هنا بعض الأحاديث في وجوب إطاعته ، فقد ورد في الخبر : عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً ، فقال : يا قوم ! إني رأيت الجيش بعيني ، وإني أنا النذير العريان ، فالنجاء ، فأطاعه طائفة من قومه ، فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم ، فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم ، فصبَّحهم الجيش ، فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق [3] . وفي حديث آخر : " كمثل رجل بنى داراً ، وجعل فيها مأدبةً ، وبعث داعياً ، فمن أجاب الداعي دخل الدار ، وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ، ولم يأكل من المأدبة . . . فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن أطاع محمداً صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله ومن عصى محمداً صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس " [4] .

ثالثاً : وجوب اتباعه وامتثال سنته ، والاقتداء بهديه :

ومن مقتضى حب النبي صلى الله عليه وسلم وجوب اتباعه ، وامتثال أوامره ، والاقتداء بهديه في الأمور كلها ، لأن المحب لمن يحب

---

[1] النساء : ٨٠ .
[2] الحشر : ٧ .
[3] بخاري : باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حديث : ٦٨٥٤ .
[4] بخاري : باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حديث : ٦٨٥٢ .

يطيع ، وأنه يسعى إلى فعل ما يحبه حبيبه ، واجتناب ما يبغضه ، فقد قال الله عز وجل : " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ " [1] . يعني يغفر الله لكم إذا اتبعوه وآثروه على أهوائهم ، وما تجنح إليهم نفوسهم ، وقال في موضع آخر : " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " [2] . يقول ابن كثير في مقتضى الآية وفحواها : " يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة : أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور ، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً ؛ ولهذا قال : " ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " أي : إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به ، وينقادون له في الظاهر والباطن ، فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة ، كما ورد في الحديث : " والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به " [3] .

كان الصحابة والسلف الصالح حريصين في اتباع سنن الرسول صلى الله عليه وسلم من غير أن يبحثوا عن الدلائل ، ومن دون تردد واستفسار .

وفي رواية البخاري أن قوماً من الأنصار أسرعوا في تولية وجوههم نحو الكعبة وهم ركوع في مسجد قبا عند ما سمعوا عن تحويل القبلة [4] . هناك لم يترددوا في التمسك به ، بل بادروا بالتوجه إلى حيث توجه الحبيب .

كذلك في رواية البخاري لما حرمت الخمر ، ونادى المنادي " ألا إن الخمر قد حرمت " فأهرقوها ، فجرت في سكك المدينة [5] . تم ذلك كله من غير قيل وقال ، وتردد واستفسار ، يا له من استلام وانقياد ؟

عن عمر أنه جاء إلى الحجر فقبله ، فقال : إني أعلم أنك حجر ، لا تنفع ولا تضر ، ولولا أني رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

---

[1] آل عمران : ٣١ .

[2] النساء : ٦٥ .

[3] تفسير ابن كثير ، سورة النساء : ٣٤٩/٢ ، دار الطيبة للنشر والتوزيع .

[4] صحيح البخاري : باب ما جاء في إجازة خبر الواحد ، حديث : ٦٨٢٥ .

[5] صحيح البخاري : باب صب الخمر في الطريق ، حديث : ٢٤٦٤ .

يقبّلك ما قبلتك [1] .

رئي عبد الله بن عمر رضي الله عنه يدير ناقته في مكان فسُئل عنه فقال : لا أدري إلا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلتُه [2] .

وهذه سيرة الصحابة والصالحين من الأمة المحمدية أنهم يتبنون سيرته في الفرائض والواجبات ، والسنن ؛ حتى في المباحات والأمور التافهة من البول والبراز وملامسة النساء ، وقد قال أنس حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة ، فما زلت أحبّ الدباء من يومئذ ، وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر أتوا سلمى وسألوها أن تصنع لهم طعاماً مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية (وهي جلود البقر المدبوغة بالقرظ يتخذ منها النعال) ويصبغ بالصفرة إذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك نحوه [3] .

يقول الحسن بن أبي الحسن : عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة (المرجع السابق) ، وقال سهل التستري : أصول مذهبنا ثلاثة : الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأفعال ، والأكل من الحلال ، وإخلاص النية في جميع الأعمال ، وجاء في تفسير قوله تعالى : " والعمل الصالح يرفعه " [4] . أنه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم [5] .

وهذا أحد السلف وهو الجنيد بن محمد يقول : " الطرق إلى الله – تعالى – كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته ؛ فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه ، " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا " [6] [7] .

---

[1] أبو داود : باب في تقبيل الحجر ، ١٨٧٥ .
[2] الشفا : ١٠/٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
[3] المرجع السوابق : ١٨/٢ .
[4] فاطر : ١٠ .
[5] المرجع السابق .
[6] الأحزاب : ٢١ .
[7] حلية الأولياء : ٢٥٧/١٠ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

رابعاً : ترك مخالفة أمره ، وتبديل سنته :

ومن مقتضيات حب الرسول أن يتبع سنته ، ويتأسى بسيرته ، ويقتدي بهديه كما كانت ، فمخالفة أمره وتبديل سننه بدعة وضلالة ، يستحق العبد على ذلك العذاب والخذلان من الله عز وجل ، فقال الله عز وجل : " فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " [1] . وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال . فأناديهم ألا هلموا إنهم قد بدلوا بعدك ولم يزالوا يرجعون على أعقابهم ، فأقول ألا سحقاً سحقاً " [2] .

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " فمن رغب عن سنتي فليس مني " [3] .

خامساً : كثرة ذكره له صلى الله عليه وسلم :

ومن مقتضيات حبه كثرة ذكره ، فمن أحب شيئاً يذكره ، ويزداد شوقه إلى لقائه ، فكل محب يحب لقاء حبيبه ، ويرغب في صحبته ، ويحرص في مرافقته في الدنيا والآخرة ، كيف فرح الأنصار بمقدم النبي صلى الله عليه وسلم ، هذا موقف السيرة النبوية يسترعي انتباهنا ، يخرجون في كل صباح إلى الحرة منتظرين قدومه صلى الله عليه وسلم ويجلسون هناك حتى تشتد حرارة الشمس فيعودون إلى بيوتهم ، ويصف البراء بن عازب فرح أهل المدينة بمقدم الحبيب صلى الله عليه وسلم إليهم بقوله : " فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيئ فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم " [4] .

هناك صحابي جليل ، يذكر موته وموت الحبيب صلى الله عليه وسلم ، فيخشى من عدم تمكنه من النظر إلى وجهه الكريم في الجنة ، وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! إنك لأحب إلي من نفسي ، وإنك لأحب إلي من

---

[1] النور : ٦٣ .

[2] ابن ماجة : باب ذكر الحوض ، حديث : ٤٣٠٦ .

[3] صحيح البخاري : باب الترغيب في النكاح ، حديث : ٤٧٧٦ .

[4] صحيح البخاري : باب مقدم النبي وأصحابه المدينة ، حديث : ٣٩٢٥ .

أهلي ومالي ، وإنك لأحب إلي من ولدي ، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك ، عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين ، وأني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك . فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً حتى نزل جبريل – عليه السلام – بهذه الآية " وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ " [1] .

قال ابن القيم : " لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب ، واستحضاره في قلبه ، واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه ، تضاعف حبه وتزايد شوقه إليه واستولى على جميع قلبه ، وإذا أعرض عن ذكره وإحضار محاسنه بقلبه نقص حبه من قلبه ولا شيئ أقر لعين المحب من رؤية محبوبه ولا أقر لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه ، فإذا قوي هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه ، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه [2] .

خامساً : تعظيمه وتوقيره ، وإظهار الخشوع له :

ومن مقتضيات حب الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيمه وتوقيره ، وإظهار خشوعه ، قال إسحاق التُجيبي : كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم ، وبكوا ، وكذلك كثير من التابعين ، ومنهم من يفعل ذلك محبةً له وشوقاً إليه ، ومنهم يفعله تهيّباً وتوقيراً [3] .

ولقد حرص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – على تعليم الناس تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ميتاً كتعظيمه حياً ، وذلك من تمام وفائه للنبي صلى الله عليه وسلم أنه روى البخاري : عن السائب بن يزيد قال : كنت قائماً في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال : اذهب فأتني بهذين فجئته بهما قال : من أنتما أو من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف ، قال : لو كنتما من أهل البلد

[1] مجمع الزوائد : من يطع الله والرسول ، حديث : ١٠٩٣٧ .
[2] جلاء الفهم : ٤٤٧/١ ، دار العروبة ، كويت .
[3] جل (شفاء : ١٧/١٢) .

لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] .

وقال مصعب بن عبد الله : " كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه ، فقيل له يوماً في ذلك : فقال : لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون " ، وذكر مالك عن محمد بن المنكدر : – وكان سيد القراء – " لا نكاد نسأله عن حديث أبداً إلا يبكي حتى نرحمه " ، ولقد كنت أرى جعفر ابن محمد ، وكان كثير الدعابة والتبسم ، فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفرّ لونه ، وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة [2] . فمن تعظيم صلى الله عليه وسلم أن لا يذكر اسمه مجرداً ، بل يوصف بالنبوة أو الرسالة ، وهذا كان أدباً للصحابة ، في نائه فهو أدب لهم ولغيرهم عند ذكره ، فلا يقال : محمد ، ولكن : نبي الله ، أو الرسول ، ونحو ذلك ، كذلك كلما يذكر اسمه يصلى ويسلم عليه .

سادساً : شفقته ورأفته على أمته :

ومن مقتضيات حب النبي صلى الله عليه وسلم شفقته على أمته ونصحه لهم ، وسعيه في مصالحهم ، ورفع المضار عنهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على أمته ، ولقد لاقى الرسول صلى الله عليه وسلم من الأذى والكيد من المشركين في مكة والطائف ، ولقد قال الله عز وجل : " لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ " [3] . وقوله تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ " [4] .

سابعاً : محبته لمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم وبغض من أبغضه :

ومن مقتضيات حب النبي صلى الله عليه وسلم محبته لمن أحب

---

[1] صحيح البخاري : باب رفع الصوت في المساجد ، ٤٥٨ .

[2] حلية الأولياء : ١٤٧/٢ ، وسير أعلام النبلاء : ٣٥٤/٥ ، محبة النبي وتعظيمه ، عبد الله بن صالح الخضيري ، عبد اللطيف بن محمد الحسن ، مكتبة الملك فهد .

[3] التوبة : ١٢٨ .

[4] الأنبياء : ١٠٧ .

النبي صلى الله عليه من أهل بيته وأصحابه من المهاجرين والأنصار ، وعداوة من عاداهم وبعض من أبغضهم ، لأنه فمن أحبّ شيئاً أحب من يحب ، فمن إجلال أهل البيت النبي صلى الله عليه وسلم ذكر مناقبهم ومحاسنهم ، والذود عنهم ، والدعاء لهم في الصلاة والسلام ، كما قال تعالى : " قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى " [1] .

فمن محبة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ذكر محاسنهم ، وفضائلهم ، والكف عما شجر بينهم ، يخشى الخسارة ممن يلمز أصحابه ويلومهم في الدنيا والآخرة ففي الحديث : " لا تسبوا أحداً من أصحابي ، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه " [2] .

ومن مقتضى حب النبي صلى الله عليه وسلم أن يبغض من أبغضه الله ورسوله ، وأن يعادي ويجانب من عاداه وجانبه ، من مخالف السنة والمبتدع في دينه ، فيقول الله عز وجل : " لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ " [3] . وهؤلاء أصحابه صلى الله عليه وسلم قد قتلوا أحباءهم وقاتلوا آباءهم وأبنائهم في مرضاة الله ، لما خالفوا الله والرسول في مواقع الحرب والسلم .

خلاصة القول :

نحن الآن قد تباعدنا كثيراً عن متابعة سنن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتعظميه ، وتوقيره ، والمحبة القلبية الخالصة له ، وعدلنا عن سيرته وسننه ، وتشبثنا بأذيال عظماء الشرق الغرب ، وأنهجنا منهجهم ، في القيادة والسياسة ، وفي الفكر والفلسفة ، وفي الأدب والأخلاق ، ما اكتفينا بذلك ؛ بل نحن نعتز ونفتخر بالانتساب إليهم ، وباختيار أسلوبهم وطريقهم المضل ، أين نحن من سيرة الصحابة والأسلاف ؟ وأين حالنا من حالهم ؟ وما أثر الحب عندنا ، وما أثره عندهم ، ولقد قام قلوبهم ما قصرت هممنا عن أن تقوم بأقلّه ؟ فيرزقنا الله بما يحب ويرضى .

---

[1] الشورى : ٢٣ .

[2] مسلم : باب تحريم سب الصحابة ، حديث : ٢٢٢ .

[3] المجادلة : ٢٢ .

المخاطر في الصكوك الإسلامية

الدكتور عز الدين بن زغيبة *

لقد شهدت الصناعة المالية الإسلامية في السنوات الأخيرة ازدهاراً واسعاً ، وازدادت معه القناعة بها أكثر من ذي قبل ، وبخاصة بعد الأزمة الاقتصادية العالمية ، وتطورت مع هذا الازدهار أيضاً الحاجة إلى أدوات مالية إسلامية أكثر قدرةً على تمويل المشاريع الكبرى ، وتوفير السيولة بقدر أكبر ، فكانت الصكوك الإسلامية هي الأداة المثلى لتلبية هذه الرغبات والطلبات والإجابة الشافية لتلك التساؤلات ، وهنا كان لزاماً على الهندسة المالية الإسلامية أن تتحمل عبئاً جديداً ، ألا وهو التعامل مع إشكالية مخاطر تلك الصكوك سواء من خلال تجنبها أو توزيعها للتخفيف منها إن لم يكن من الممكن تفاديها بالكلية .

ولكن هناك ملاحظة هامة لابد من الإشارة إليها ، وهي : أن المخاطر في الصكوك الإسلامية تختلف حسب نوعية هيكلتها ، فمخاطر صكوك المرابحة تختلف عن مخاطر صكوك المشاركة ، ومخاطر صكوك الاستصناع تختلف عن مخاطر صكوك الإجارة ، كما تختلف مخاطر الصكوك المركبة من عقود عدة عن مخاطر الصكوك البسيطة التي تقوم على عقد واحد ، كما تختلف هذه المخاطر باختلاف الأصول المكونة للصك بين الأصول الثابتة والمنقولة والمنافع والخدمات .

ويمكن إجمال هذه المخاطر في العناصر الآتية :

(١) المخاطر الشرعية :

وتتمثل هذه المخاطر في مخالفة أحكام الشريعة الإسلامية ؛ حيث إن الصكوك أداة مالية اكتسبت شرعيتها من إجازة الشريعة التعامل بها وتداولها في إطار أحكام محددة ومضبوطة ، وبناءً على أدلة كلية وجزئية ، ومقاصد عامة وخاصة أسست عليها تلك الإجازة ، ومن ثم فإن

* رئيس قسم الدراسات والنشر والشوون الخارجية ، ومدير تحرير مجلة " آفاق الثقافة والتراث " بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي .

مخالفة الصكوك لتلك الأحكام الشرعية ، أو العود بالإبطال على ما ثبتت به من الأدلة الكلية والتفصيلية ، والمقاصد المرعية في أي مرحلة من المراحل التي يمر بها الصك تؤدي إلى إبطال الصك كلياً أو جزئياً ، أو فساد المعاملة تبعاً لنسبة الخرم التي تقع فيها عملية التصكيك .

فمثلاً عندما تكون مكونات الصك ديون مرابحات ، وأصولاً مؤجرة فيجب أن لا تزيد نسبة الديون على ٣٣٪ من مكونات الصك طوال عمر الصك حتى يجوز تداوله . وفي حال زادت الديون على هذه النسبة فإن الصك لا يجوز تداوله ؛ وبالتالي يصبح الصك ضعيف السيولة ، أو أن يكون تملك أصول صكوك الإجارة تملكاً صورياً ، وهذا مخالف لأحكام الشريعة ومقاصدها ، وبالتالي فهو باطل ، وما بني على باطل فهو باطل .

ومن هذا القبيل أيضاً أن الكل يعلم أن الكثير من المؤسسات الإسلامية تنقل ملكية بعض أصول عملائها على سبيل الرهن ، وليس على سبيل البيع الحقيقي ، فلو قامت هذه المؤسسات بتصكيك هذه الأصول على صيغة صكوك إجارة أو مشاركة أو غيرها من صور التصكيك الممكنة فإن هذه الصكوك باطلة ؛ لأن المؤسسة باعت على حملة الصكوك ما لا تملك وهو من البيوع المنهي عنها في الشريعة الإسلامية .

ومما يندرج في هذا الباب استخدام أموال الصكوك في المحرمات سواء أكانت محرمات لعينها كالسلع والخدمات المحرمة ، أو محرمات لكسبها كالربا ، والقمار ، والغش ، والتدليس ، والخديعة ، والخيانة . . . إلخ .

ولعل من أبرز عناصر مخاطر الرقابة الشرعية هو ضعف الرقابة الشرعية في العديد من المؤسسات المالية الإسلامية أو البنوك التقليدية التي تمتلك شبابيك إسلامية أو الفروع التابعة لها مما يؤثر سلباً في ثقة المتعاملين ، وسمعة المنشأة لديهم ، وهو الأمر الذي من شأنه أن يترك آثاراً على القيمة السوقية للصكوك الإسلامية .

وصور المخالفة للشريعة في الصكوك الإسلامية كثيرة ، ولا يمكن حصرها في هذا المقال ، فكل هيكل من هياكل الصكوك له ضوابطه الشرعية التي تعدُّ مخالفتها من المخاطر التي يجب دراسة

إمكانية وقوعها وكيفية الحد منها ، وطرق معالجتها .

إلا أن هذا النوع من المخاطر يختلف قوةً وضعفاً من بلد إلى بلد ، ومن مؤسسة مالية إلى أخرى ، فالبلدان التي توجد بها بيئة مصرفية إسلامية وتتوافر على منظومة قانونية داعمة وهياكل مساندة ، ورقابة شرعية مركزية صارمة إلى جانب رقابة شرعية داخلية قوية في كل مؤسسة ، فإن المخاطر الشرعية في هذه الظروف تكون في حدها المعقول القابل للعلاج والتدارك .

أما إذا كانت البلاد تخضع فيها جميع المؤسسات المالية للنظام المالي التقليدي وترسنته القانونية حتى التي تعمل بالنظام الإسلامي ، مع انعدام شبه كامل للمؤسسات والهياكل الداعمة والمساندة والغياب التام للرقابة الشرعية المركزية ، مع القصور الواضح في الرقابة الشرعية الداخلية بالمؤسسات المصرفية الإسلامية العائدة لانعدام التجربة لدى أفراد الجهاز الرقابي والخبرة اللازمة في التعامل مع مثل هذه الأوضاع ، وكذا عدم قدرة منظومة التسيير لتلك المؤسسات على التخلص السريع من رواسب النظام التقليدي ؛ مما يجعل الاستجابة لتعليمات الهيئات الشرعية يشوبه نوع من الاضطراب في التنفيذ إلى جانب الاستيعاب البطيء نسبياً في التأقلم مع النظام الجديد ، إن مثل هذه الأوضاع تجعل المخاطر الشرعية في أعلى درجاتها ، ويكون من الصعوبة بمكان تنفيذ تفاصيلها على الوجه المطلوب .

(٢) المخاطر القانونية :

إن المنظومة القانونية لكثير من الدول الإسلامية لا تنسجم في كثير من جوانبها مع أحكام الشريعة الإسلامية ، وبخاصة قوانين النقد والقرض وقوانين الجباية وكثير من أحكام القانون المدني ، مما يجعل عملية التصكيك الإسلامي تتعرض لصعوبات كبيرة وبخاصة في صياغة العقود الضرورية للعملية ، ويكون الأمر أكثر صعوبةً إذا انتقل الموضوع للمحاكم حيث الحكم بالقوانين الوضعية لا الشرعية ، وبناءً عليه يكون من الأهمية بمكان بل من اللازم ، أن يكون المتصدي لعملية التصكيك على دراية تامة بتلك القوانين ، والأهم من ذلك مداخلها

ومخارجها التي يمكن من خلالها تأمين تمرير ما أمكن من المتطلبات الشرعية للصكوك الإسلامية ، كما يجب الأخذ بعين الاعتبار اختلاف الصكوك عن سندات الدين التقليدية ، وإن هذا الاختلاف تنتج عنه مخاطرُ يجب دراستها وقياسها بطريقة علمية دقيقة ، ومن ثم السعي لتغطية هذه المخاطر بالوسائل المناسبة التي تتوافق مع الشريعة الإسلامية .

والذي ينبغي الإشارة إليه ، أن المخاطر القانونية تختلف من أصل إلى آخر ؛ وذلك لتوقف مدى معارضة قوانين ذلك الأصل للأحكام الشرعية ونسبة تلك المعارضة من العملية برُمتها .

(٣) المخاطر التشغيلية :

إن هياكل الصكوك الإسلامية التي يجوز تداولها يجب أن تكون قائمةً على أصول ، وأن العائد على هذه الصكوك ناتج عن هذه الأصول .

فإن المخاطر التشغيلية لهذه الأصول يجب أن تدرس بعناية ، فمثلاً نعلم أن العائد الإيجاري في صكوك الإجارة هو عائد الصك ، فلو تعطلت منافع العين المؤجرة المكونة لصك الإجارة فلا يجب على المستأجر دفع الأجرة ؛ وبالتالي لن يعود للصك أي عائد .

ومن هنا يتبين لنا أن صكوك الإجارة القائمة على العقار أقل تعرضاً لمخاطر فقدان العائد بسبب تعطل المنفعة من الصكوك القائمة على المركبات أو المصانع أو الطائرات أو البواخر .

كما أن المخاطر المحتملة الناتجة عن تملك هذه الأصول يتحملها حملة الصكوك ، مثل الأضرار البيئية الناتجة عن المصانع أو البواخر وغيرها من المخاطر التي تتعلق بكل أصل على حدة [١] .

وتنقسم هذه المخاطر على نوعين : مخاطر عامة ، وذلك إذا كانت هذه المخاطر بفعل عوامل خارجية كالكوارث الطبيعية ، والحوادث المختلفة مثل ما تسببه الكوارث أو الحوادث في هلاك الزرع في

---

[١] انظر ، أعمال مؤتمر المصارف الإسلامية بين الواقع والمأمول : " الصكوك الإسلامية " ، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري – دبي : ٢٠٠٩م ، ص ١٨ و ١٩

استثمارات صكوك المزارعة أو هلاك الأصل المؤجر في استثمارات صكوك الإجارة ونحو ذلك .

ومخاطر خاصة ، إذا كانت بفعل عوامل داخلية كعدم كفاية التجهيزات أو وسائل التقنية أو الموارد البشرية المؤهلة والمدربة ، أو فساد الذمم ، أو عدم توافر الأهلية الإدارية (أي الكفاءة الإدارية) القادرة على القيام بمهام الوكالة عن الملاك وتحقيق الأرباح مع نموها واستقرارها مستقبلاً ، والمحافظة على المركز التنافسي للصكوك ونحو ذلك [1] .

(٤) مخاطر السوق :

تحدث الدكتور محمد أشرف دوابه عن مخاطر السوق في الصكوك الإسلامية ، وبيَّن أن هذه المخاطر تندرج تحت المخاطر العامة ، حيث ترجع لاتجاهات الصعود والنزول التي تطرأ على الأسواق لعوامل اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية ، سواء أكانت أسواق الأصول الحقيقية ، أو الأسواق المالية والتي تتكون بدورها من أسواق النقد ، وأسواق رأس المال بسوقيها : سوق الإصدار وسوق التداول .

(أ) مخاطر سوق الأصول الحقيقية :

وهذه المخاطر مرتبطة بطبيعة الصكوك الإسلامية من حيث كونها تمثل حصةً شائعةً في ملكية الأصول ، ونظراً لأن الأصول الحقيقية من سلع وخدمات تُباع في الأسواق ، فإنها قد تتعرض للنقص في قيمتها بفعل عوامل العرض والطلب ، أو السياسات الاقتصادية الحكومية . . . وغيرها من عوامل السوق .

(ب) مخاطر سوق رأس المال :

ويمكن تصنيف تلك المخاطر وفقاً لما يأتي :

(ب/١) مخاطر سعر الصرف :

وتنشأ هذه المخاطر في سوق النقد نتيجةً لتقلبات سعر صرف العملات في المعاملات الآجلة . ففي حالة شراء سلع بعملة أجنبية وانخفاض سعر تلك العملة فإن ذلك يترتب عليه خسائر بمقدار انخفاض سعر العملة

---

[1] انظر ، إدارة مخاطر الصكوك الإسلامية : الدكتور أشرف محمد دوابه ، ص ١٥

الأجنبية مقابل العملات الأخرى ، كما أن مخاطر سعر الصرف تظهر أيضاً عند إصدار الصكوك بعملة معينة واستثمار حصيلتها بعملات أخرى ، أو إذا كانت المنشأة المصدرة للصكوك تحتفظ بمواقع مفتوحة تجاه بعض العملات الأجنبية أو التزامات الدفع خاصة في عمليات المرابحات والتجارة الدولية .

(ب/٢) مخاطر سعر الفائدة :

وتنشأ هذه المخاطر نتيجةً للتغيرات في مستوى أسعار الفائدة في السوق بصفة عامة ، وهي تصيب كافة الاستثمارات بغض النظر عن طبيعة وظروف الاستثمار ذاته . وكقاعدة عامة فإنه مع بقاء العوامل الأخرى على حالها ، كلما ارتفعت مستويات أسعار الفائدة في السوق ، انخفضت القيمة السوقية للأوراق المالية المتداولة والعكس صحيح ، وهو ما يؤثر على معدل العائد على الاستثمار [١] .

والصكوك الإسلامية وإن كان لا مجال لسعر الفائدة في التعامل بها ، أو في أنشطتها ومجالات استثماراتها ، إلا أنها قد تتأثر بسعر الفائدة إذا اتخذته سعراً مرجعياً في التمويل بالمرابحة . كما أن سعر الفائدة باعتباره آلية يقوم عليه – للأسف الشديد – النظام النقدي والمصرفي في غالبية الدول الإسلامية ، فإنه بلا شك يؤثر على الصكوك الإسلامية ، خاصةً إذا لم يكن للوازع الديني دور في توجيه المستثمرين ، وتحجج بعضهم بشذوذ الفتيا التي أباحت سعر الفائدة خلافاً لإجماع الفقهاء [٢] .

(ب/٣) مخاطر أسعار الأوراق المالية :

وتنشأ هذه المخاطر نتيجةً لتقلبات أسعار الأوراق المالية في أسواق رأس المال ، سواء أكانت هذه التقلبات بفعل عوامل حقيقية ، أم عوامل مصطنعة وغير أخلاقية كالإشاعات والاحتكار والمقامرة وعمليات

[١] أساسيات الاستثمار في الأوراق المالية : د . منير إبراهيم هندي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٩٩م ، ص ٢٥٨ (بتصرف) .

[٢] لمزيد من التفاصيل انظر للباحث ، فوائد البنوك مبررات وتساؤلات ، دار السلام للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٨م .

الإحراج والبيع والشراء الصوري ونحو ذلك ، وهو ما يؤثر على القيمة السوقية للصكوك الإسلامية .

(ب/٤) مخاطر التضخم :

وتنشأ هذه المخاطر نتيجةً لانخفاض القوة الشرائية للنقود بارتفاع الأسعار ، وهو ما يعني تعرض الأموال المستثمرة لانخفاض في قيمتها الحقيقية . والصكوك الإسلامية باعتبارها ذات عائد متغير ، وذات مكونات من نقود وديون وأعيان ومنافع فإن تأثرها بالتضخم يرتبط طرداً بزيادة مكوناتها من النقود والديون [١] .

(٥) مخاطر صكوك توريق الذمم المقبولة شرعاً :

فيما يتعلق بصكوك توريق الذمم المدينة المقبولة شرعاً ، يواجه المستثمرون في هذه الصكوك خطرين أساسيين ، هما :

(أ) خطر التأخر في الوفاء :

فإذا توقع المستثمرون (حملة الصكوك) أن عوائد الصكوك التي توزع عليهم ستتأخر عدة أشهر بسبب رغبة المدين في تأخير الوفاء ، فإنهم سيصابون بخيبة أمل لن تؤثر فقط في التنبؤ بقدرة الأصول على الوفاء ، وإنما سينعكس ذلك سلباً على الثقة في صفقات التوريق برمتها [٢] .

(ب) خطر العجز عن الوفاء :

هذا الخطر يعتمد وقوعه على الجدارة الائتمانية للمدين ، حيث يعجز المدين عن الوفاء بالتزاماته التعاقدية كاملة وفي مواعيدها ، ومصدر هذه المخاطر قد يكون نتيجة سوء اختيار العميل ، سواء بعدم وفائه بالتزامات العمل المسند إليه بالنسبة لاستثمارات صكوك المشاركة والمضاربة والمزارعة والمساقاة والمغارسة والاستصناع ، أو عدم رغبته في استلام السلعة المشتراة ورجوعه عن وعده – في حالة اعتبار الوعد غير ملزم – في استثمارات صكوك المرابحة ، أو عدم رغبته في استلام السلعة

---

١ انظر ، إدارة مخاطر الصكوك الإسلامية : الدكتور أشرف محمد دوابه ، ص ١٣ – ١٥ .

٢ انظر ، أعمال مؤتمر المصارف الإسلامية بين الواقع والمأمول : " الصكوك الإسلامية " ، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري – دبي : ٢٠٠٩م ، ص ٢٠ .

المستصنعة في استثمارات صكوك الاستصناع – إذا كان عقد الاستصناع جائزاً غير ملزم – ، أو تأخير أو عدم سداد ما عليه من التزامات بالنسبة لاستثمارات صكوك المرابحة وصكوك الإجارة ، أو عدم الالتزام بتوريد السلع المتفق عليها وصفاً وزماناً بالنسبة لاستثمارات صكوك السلم .

فهذه المخاطر ترجع إلى عدم كفاءة العميل أو إلى سوء سمعته وعدم رغبته في السداد ، أو إلى عدم قدرته على السداد ، وهذا كله يقع في الأساس على عاتق المنشأة مصدرة الصكوك والمانحة الائتمان للعميل ، ويؤثر سلباً على عوائدها ، لذا فإن هذه المخاطر تدخل ضمن المخاطر الخاصة .

وهنا تبرز أهمية ودور وكالات التصنيف العالمية في درء هذا الخطر من خلال درجة التصنيف الائتماني التي تحصل عليه المؤسسة البادئة للتوريق (المصدر) ، والتي تساعد المستثمرين على توقع هذا الخطر قبل اتخاذ قرار الاستثمار في الأوراق المالية المصدرة ، بالإضافة إلى وجود ضمانات كافية مقابل تلك الأوراق لتعزيز ثقة المستثمرين بها في أسواق رأس المال [1] .

(٦) مخاطر صكوك توريق الموجودات العينية :

إن الخطر يكون في حال توقع المستثمرين عدم قدرة هذه الأصول على تحقيق تدفقات نقدية كافية لتوزيع العوائد المتوقعة على حملة الصكوك التي تم تحديدها في نشرة الإصدار ، مما يؤثر سلباً على ثقة المستثمرين في تلك الصكوك ، ويمكن درء هذا الخطر عن طريق إجراء دراسات وافية على الأصول القابلة للتوريق ، وتقدير تدفقاتها النقدية بدقة ، مع إجراء تحليل للحساسية Sensitivity Analysis عليها بهدف اكتشاف مكامن الخطر ووضع التدابير اللازمة لدرء المخاطر بما في ذلك التأمين على تلك الأصول [2] .

---

[1] انظر ، أعمال مؤتمر المصارف الإسلامية بين الواقع والمأمول : " الصكوك الإسلامية " ، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري – دبي : ٢٠٠٩م ، ص ٢٠ ، إدارة مخاطر الصكوك الإسلامية : الدكتور أشرف محمد دوابه ، ص ١٢ و ١٣ .

[2] انظر ، أعمال مؤتمر المصارف الإسلامية بين الواقع والمأمول : " الصكوك الإسلامية " ، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري – دبي : ٢٠٠٩م ، ص ٢٠ .

سفر النساء للحج دون محارم

(الحلقة الثانية الأخيرة)

أ . د . المفتي محمد مصطفى عبد القدوس الندوي *

٤ . ٤ – نظرة على أدلة المجوزين :

الدليل الأول : قوله تعالى : (وَلِلَّه عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) [عمران : ٩٧] . وقد نوقش هذا الاستدلال من أوجه :

الوجه الأول : أن بين هذه الآية وبين الأحاديث التي نصت على اشتراط المحرم نسبة عموم وخصوص ، فمسّت الحاجة إلى مرجّح ، والحديث الذي اكتتب فيه الصحابي للخروج في غزوة كذا مرجّح قائم ، فهو أمر النبي صلى الله عليه وسلم إياه بالخروج معها للحج وتركه الغزو الذي اكتتب فيه وتعيّن عليه الخروج ، كما سبق . (راجع : بدائع الصنائع : ١٢٣/٢ ، وفتح القدير : ٣٣٥/٢ ، والمغني : ٣٢/٥) .

والوجه الثاني : أن الآية الكريمة العامة لا تتناول النساء حال عدم الزوج والمحرم ؛ لأن المرأة لا تقدر على الركوب والنزول بنفسها ، بل تحتاج إلى المعونة في كليهما ، وفي جميع مراحل مختلفة أخرى خلال أفعال الحج ، ولا يحل ذلك إلا للمحرم والزوج . ثم إن مرضت فتحتاج إلى من يمسّ بدنها أو غير ذلك ، وغير المحرم لا يؤمن على ذلك . (نيل الأوطار : ٢٤٧/٤ ، فتح القدير : ٤٢٧/٢) ولو أتقى الناس ؛ لأن القلوب سريعة التقلب ، والشيطان بالمرصاد دائماً . (راجع : شرح العمدة : ١٧٦/١) . ولا ينظر لبعض النساء ممن تستطيع ذلك ؛ لأن العبرة بالغالب وتترتب الأحكام عليه ؛ فلا تعدّ مستطيعةً ؛ فلا تدخل في النص .

والوجه الثالث : أن عموميات الآية والأحاديث قد قيّدت ببعض الشروط بالإجماع كاشتراط أمن الطريق ، وإمكان المسير ، فكذلك تقيّد هذه الآية أيضاً باشتراط المحرم لوروده في النصوص الصريحة ؛ بل إن

* عميد كلية البحث والتحقيق والإفتاء بجامعة العلوم غرها – غجرات .

من قال باشتراط الرفقة المأمونة ، قال بشرط لم ينص عليه . ثم من المعلوم أن كل فقيه شرط شرطاً لوجوب الحج على الناس ليس من القرآن ولا من السنة ، كقضاء الدين ، والثبوت على الراحلة وغير ذلك ؛ فالشرط الذي قررته الأحاديث الشريفة أولى أن يؤخذ بالدرجة الأولى .

الدليل الثاني : حديث عدي بن حاتم : " . . . تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ ، حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ أَحَداً إِلا اللَّهَ " . وقد نوقش من أوجه :

الأول : أنه ورد تبياناً للواقع من انتشار الأمن والسلامة ، ومخبراً بتفشي الأحوال المأمونة وشيوعها وتغشي الطمأنينة وفقدان الخوف وعدم الجور والتعدي على العِرض ، وهذا قد وقع ، لا لبيان الخروج دون محرم ؛ فلا يلزم من ذلك جواز سفر المرأة بدون محرم ، كما أخبر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم عن كذّابين ودجّالين يخرجون ، ولا يلزم من ذلك جوازه ولا قائل لجوازه . (راجع : فتح القدير : ٤٢٧/٢ ، المجموع شرح المهذب : ٣٢٨/٩) .

والثاني : أن حديث عديّ رضي الله عنه وما شابهه عام ، وأحاديث المحرم أخص ، والخاص مقدم على العام . (العناية مع الفتح : ٤٢٧/٢) .

والثالث : أن حديث عديّ رضي الله عنه يدل على وجود السفر لا على جوازه ، ولذا لم يجزه في غير الحج المفروض ، ولم يذكر فيه خروج غيرها معها . (الشرح الكبير مع المغني : ٢٠٣/٣) .

الدليل الثالث : حديث ابن عمر ، " الزاد والراحلة " . قد نوقش من أوجه :

الأول : هذ الحديث ضعيف ، قال الإمام الترمذي : (أخرجه الترمذي : " هذا حديث لا نعرفه من حديث ابن عمر إلا من حديث إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي ، وقد تكلم بعض أهل العلم في إبراهيم بن يزيد من قبل حفظه " . (سنن الترمذي ، الحج ،باب : ومن سورة آل عمران ، برقم : ٢٩٩٨) .

والثاني : دلالة الحديث على الزاد والراحلة لا تنفي شرط المحرم للمرأة ؛ لأن السائل رجل لا امرأة . (العناية مع الفتح : ٤٢٧/٢ ، المحموع شرح المهذب : ٣٢٨/٩) .

والثالث : وقد اشترطتم شروطاً كثيرةً ، غير الزاد والراحلة : كأمن الطريق ، وإمكان المسير ، وقضاء الدين ، وإمكان الثبوت على الراحلة ، والنساء الثقات أو الرجال الثقات أو المرأة الثقة . وهذه الشروط كلها لم يذكرها الحديث ، وأما المخرم فهو أولى منها ؛ لأنه ذكر في أحاديث أخرى كما سبقت . (راجع : فتح القدير : ٢/٤٢٦ – ٤٢٧) .

الدليل الرابع : حديث عمر رضي الله عنه أنه أذن لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم في آخر حجة حجّها إلى آخره . نوقش هذا الدليل من أوجه :

الأول : أنه ليس في الحديث تصريح ولا أي شيئ يدل على أنه لم يكن معهن محرم . والقياس يقتضي ويقوّي احتمال أن يكون المحارم معهن في القافلة ، وبعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما زيادةً في الإكرام والاطمئنان ؛ لأنه لا يظن بالصحابة مخالفة نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن سفر المرأة دون محرم . ثم يؤيَّد هذا الاحتمال بحديث ولو كان في سنده مقال لكن يمكن أن يستأنس به بهذا الصدد ، وهو يدل على وجود محارمهن ؛ فقد روى ابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م : ٤/٣٢٧) في حوادث سنة ٢٣هـ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ ، وَأَبِي حَارِثَةَ ، وَالرَّبِيعِ بِإِسْنَادِهِمْ قَالُوا : حَجَّ عُمَرُ بِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰه عليه وآله وَسَلَّمَ مَعَهُنَّ أَوْلِيَاؤُهُنَّ [مِمَّنْ] [٦] لا تَحْتَجِبْنَ مِنْهُ ، وَجَعَلَ فِي مُقَدَّمِ قِطَارِهِنِّ : عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ ، وَفِي مُؤَخِّرِهِ : عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ إلخ . ولأنه يوافق ظاهر الحال والروايات الأخرى التي جاء فيها تصريح المحرم .

والثاني : ثم إنه يبعد جدّاً ألا يكون معهن أحد من محارمهن مع كثرة المسافرين للحج معهن من المدينة ، فالغالب أنه لن يخلو الأمر من أخ أو جد أو خال أو عم أو أحد المحارم من الرضاعة ، وقد كانت الرضاعة كثيرة في ذلك الوقت .

والثالث : هذا اجتهاد بعض الصحابة ، واجتهاد الصحابي لا يقبل إذا خالف نصّاً صحيحاً صريحاً مرويّاً عن النبي صلى الله عليه وسلم كما سبق .

الدليل الخامس : حديث ابن عمر رضي الله عنه " لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ " . نوقش من أوجه :

الأول : أن النهي عن منع النساء من الذهاب إلى المساجد ، الوارد في هذا الحديث يتعلق بالمشاركة في جماعات الصلوات المفروضة القائمة فيها دون الحج ، كما يدل عليه شأن ورود هذا الحديث . قال العلامة العيني : المراد به حضور الجماعة ولم يرد للحج ؛ بدليل يساق الخبر " وبيوتهن خير لهن " . (البناية : ١٥٠/٤) .

والثاني : وإن سلّمنا أن هذا الحديث عام ، ويدخل فيه المسجد الحرام ، ويشمل الحج المفروض أيضاً ، أي لا يجوز منع النساء من الخروج دون محارم .

فيه نظر ؛ لأن المخصص من العموم موجود ، وهو تحريم سفر المرأة بغير محرم مطلقاً ، كما سبق مفصلاً ، ومختصاً بالحج أيضاً ، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا تَحُجَّنَّ امْرَأَةٌ إلا وَمَعَهَا ذُو مُحْرِمٍ " . (أخرجه الدارقطني في الحج ، برقم : ٢٤٤٠ ، وصححه أبو عوانة (نيل الأوطار للشوكاني : ٤٥٢/٣ ، باب النهي عن سفر المرأة للحج إلخ) .

والثالث : ثم هذا الحديث ليس عاماً ؛ بل مقيّد بأمن الطريق باتفاق الفقهاء ، كما لا يخفى على أصحاب العلم ، ومن الأصول أن أي نص شرعي عام إذا خصّص أو قيّد بقيد مرة واحدة فيجوز أن يخصّص ويقيّد مرة أخرى أيضاً ؛ فجاز أن يكون أن يقيّد بالأمن من الفتنة والخوف على العرض ، كما كان خروج النساء إلى المساجد للصلوات مأذوناً في العهد النبوي ؛ ولكن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وانقراض العهد النبوي الذهبي المشرق قد تغيّرت الأحوال والأوضاع سريعة حتى قالت عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : " لَوْ أَدْرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَحْدَثَ النِّسَاءُ لَمَنَعَهُنَّ كَمَا مُنِعَتْ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ " . (أخرجه البخاري في الأذان ، بَابُ خُرُوجِ النِّسَاءِ إِلَى المَسَاجِدِ بِاللَّيْلِ وَالغَلَسِ ، برقم : ٨٦٩) .

الدليل السادس : حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، " لَكِنَّ أَحْسَنَ الجِهَادِ وَأَجْمَلَهُ الحَجُّ ، حَجٌّ مَبْرُورٌ " . نوقش بأن هذا الحديث ليس فيه دلالة على جواز حج المرأة مع من تثق به ، ولو لم يكن محرماً أو زوجاً ؛ لأن قول عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، " فَلاَ أَدَعُ الحَجَّ بَعْدَ إِذْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " ليس صريحاً في أنها فهمت جواز سفر المرأة للحج بغير محرم ؛ بل فهمت من ذلك جواز تكرير حج المرأة ، كما نص على ذلك الحافظ ابن حجر : " وفهمت عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا – ومن وافقها – من هذا الترغيب في الحج إباحة تكريره لهن كما أبيح للرجال تكرير الجهاد . (فتح الباري : ٨٩/٤) .

ثم هذا الحديث يحتمل جواز حج المرأة بغير زوج ومحرم ، كذلك يحتمل حجها مع محرم أيضاً ، وهذان الاحتمالان يتساويان فاحتاج إلى ترجيح أحدهما بمرجّح ، والمرجّح هو قول النبي صلى اللّٰه عليه وسلم : " لا تَحُجَّنَّ امْرَأَةٌ إلا وَمَعَهَا ذُو مُحْرِمٍ " .

الدليل السابع : قياس على المرأة المهاجرة من دار الحرب وعلى المأسورة إذا انفكت من الأسر ، هذا الدليل منقوض بأوجه :

الأول : هذا القياس قياس فارق غير صحيح ؛ لأن القياس في مقابل النص فاسد ، قال التفتازاني : لا عبرة بالقياس في مقابلة النص أو الإجماع بالاتفاق . (شرح التلويح على التوضيح : ١٦٣/٢) . والنص صريح موجود في صدد حج المرأة ، وهو : " لا تَحُجَّنَّ امْرَأَةٌ إلا وَمَعَهَا ذُو مُحْرِمٍ " .

الثاني : أن المهاجرة والمأسورة المنفكة ليس خروجها سفراً في الواقع ؛ لأنهما تقصدان النجاة ، فقطعهما للمسافة كقطع السابح ؛ فلا يصح قياس سفر المرأة للحج دون محرم عليهما .

الثالث : وإن سلّمنا أنه سفر ؛ لكنه سفر الضرورة والاضطرار دون سفر الاختيار ، والإجماع انعقد على إباحة سفر الضرورة والاضطرار للمرأة بغير محرم لا على سفر الاختيار . (انظر : البحر الرائق : ٥٥١/٢ ، ونيل الأطار : ٢٩١/٤) .

الدليل الثامن : " السفر إلى الحج سفر واجب إلخ " . ولا شك أن سفر الحج المفروض سفر واجب ؛ لكنه لا يستلزم منه أن يكون سفر المرأة لحج الفرض جائزاً دون محرم . ثم على وجه الخصوص نص صريح يوجد ويدل على اشتراط المحرم في حق المرأة في قطع الطريق إلى الحج .

الدليل التاسع : " وجود من تأمنه بقوم مقام المحرم " . نوقش هذا الدليل من أوجه ، منها :

هذه الحقيقة لا تنكر أن غير المحرم لا يؤمن ؛ لذا أن الخلوة

بالأجنبية حرام ؛ بما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أَلا لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ " . (أخرجه الترمذي في الفتن ، بَابُ مَا جَاءَ فِي لُزُومِ الجَمَاعَةِ ، برقم : ٢١٦٥ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ ، وابن حبان في صحيحه ، ذِكْرُ الزَّجْرِ أَنْ يَخْلُوَ الْمَرْءُ بِامْرَأَةٍ أَجْنَبِيَّةٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ بِمُغِيبَةٍ ، برقم : ٥٥٨٦ ، والحاكم في المستدرك ، برقم : ٣٨٧ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ) . وقد نهى رسول الله عن المسافرة بدون محرم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم " . (أخرجه البخاري في الجهاد والسير ، باب من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجة ، أو كان له عذر ، هل يؤذن له ، برقم : ٣٠٠٦ ، ومسلم ، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ، برقم : ٤٢٤ – ١٣٤١ ، واللفظ لمسلم) .

٤.٥ – نظرة على أدلة المانعين :

يناسب أن نلقي نظرةً على أدلة المانعين ، وندرسها بالدِّقّة ونناقشها بالجدّية ، وذلك إلى القارئ في السطور الآتية :

الدليل الأول : قوله تعالى : (مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) [عمران : ٩٧] . هذه الآية تحتمل أن المحرم من السبيل للنساء ، كما تحتمل أن الأمن والزاد من السبيل للرجال والنساء أجمعين ، وعموم الآية يشمل الجميع ؛ فلا يخرج أحد منها ولا يستثنى من كونه من السبيل إلا بدليل .

ثم القول أن المحرم ليس من السبيل ، قول بلا دليل ؛ بل الدليل القائم الموجود على خلافه ، وهو حديث ابن عباس الصريح " لا تَحُجَّنَّ امْرَأَةٌ إِلا وَمَعَهَا ذُو مُحْرِمٍ " .

الدليل الثاني : حديث ابن عباس رضي الله عنه : " ارجع فحُج مع امرأتك " نوقش بما قاله ابن حزم الأندلسي : فلم يقل صلى الله عليه وسلم : لا تخرج إلى الحج إلا معك ، ولا نهاها أصلاً ؛ بل ألزم الزوج ترك خروجه في الجهاد وألزمه الحج معها ، فالفرض في ذلك على الزوج لا عليها ؛ لأن الأمر في هذا الحديث متوجه إلى الزوج لا إلى المرأة . (الإحكام في أصول الأحكام : ١٦٦/٢ ، المحلى : ٥١/٧ ، ٥٢) .

أجيب عنه بأوجه :

أحدها : فيه دلالة على أنه ليس للزوج منع امرأته من حج الفرض

لا على جواز سفر المرأة بغير زوج ولا محرم ، وإن كان جائزاً بغير زوج ومحرم فلم يأمر الزوج بترك الجهاد المبارك والذهاب مع امرأته .

والثاني : كما قال الحافظ ابن حجر : وتُعقّب – ابن حزم – بأنه لو لم يكن ذلك شرطاً لما أمر زوجها السفر معها وتركه الغزو الذي اكتتب فيه ، ولا سيّما رواه سعيد بن منصور عن حماد بن زيد ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي معبد ، عن ابن عباس رضي الله عنه بلفظ : " إني نذرت أن أخرج في جيش كذا وكذا . (أخرجه ابن حزم في المحلى (٥٢/٧) من طريق سعيد بن منصور ، كما ذكر ابن حجر) ، فلو لم يكن شرطاً ما رخّص له في ترك النذر (فتح الباري : ٩٢/٤) .

والثالث : وإن سلمنا قول المعترض ، فيقع التعارض بين هذا الحديث وحديث : " لا تَحُجَّنَّ امْرَأَةٌ إلا وَمَعَهَا ذُو مُحْرِمٍ " ، و إن أخذنا شرح الحافظ ابن حجر ، وما مضى في الجواب الأول ، لا يقع التعارض بل يندفع ويقع التوافق بينهما . والأمر البديهي أن العمل بالتطبيق أولى من العمل بالتعارض ، الذي يوجب ترجيح أحدهما على الآخر وإهماله .

الدليل الثالث والرابع : نوقشا بأن أحاديث النهي عن سفر المرأة بغير محرم أو زوج ليست كافية في إخراج النساء من عموم قوله تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) [عمران : ٩٧] .

فالأمر يحتاج إلى الترجيح من خارج . هناك دليل من خارج وهو قوله صلى الله عليه وسلم : " لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ " . (أخرجه البخاري في الجمعة ، برقم : ٩٠٠ ، ومسلم في الصلاة ، برقم : ٤٤٢) .

وقد سبق شرح هذا الحديث والجواب عنه ؛ فلا ينتهض دليلاً كمرجح من خارج على جواز سفر المرأة بغير محرم . ونجد في الحقيقة عكس ذلك دليلاً مرجحاً من خارج ، كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية والصنعاني ؛ فقال شيخ الإسلام ابن تيمية : " فهذه النصوص من النبي صلى الله عليه وسلم في تحريم سفر المرأة بغير محرم ، ولم يخصص سفراً من سفر ، مع أن سفر الحج من أشهرها وأكثرها ؛ فلا يجوز أن يغفله ويمهله ويستثنيه بالنية من غير لفظ ؛ بل قد فهم الصحابة رضي الله عنهم دخول سفر الحج في ذلك لمّا سأله ذلك الرجل عن سفر الحج ، وأقرّهم على ذلك ، وأمره أن يسافر مع امرأته ويترك الجهاد الذي تعيّن

عليه بالاستئفار فيه ، ولو لا وجوب ذلك لم يجز أن يخرج سفر الحج من هذا الكلام ، وهو أغلب أسفار النساء . (شرح العمدة : ١٧٤/٢) .

وقال الصنعاني : المرجّح هنا قائم ، وهو قول ذلك الصحابي : إن امرأته خرجت حاجّة ، وأمره صلى الله عليه وسلم بأن يخرج معها ويترك الجهاد الذي قد تعيّن عليه ، ولو لا وجوب ذلك لم يجز ، ولم يستفصل – صلى الله عليه وسلم – هل خرجت مع رجال مأمونين أو نساء ثقات ، فسفرها للحج لا يجوز أن يخرج من العموم ، وكيف يخرج سفر الحج من هذه الأحاديث ، وهو أغلب أسفار النساء " . (العدة حاشية الصنعاني : ٤٨٦/٢) .

الدليل الخامس : " قياس حج الفرض على حج النفل إلخ " ، نوفش بأنه قياس مع الفارق ؛ لأن حج الفرض واجب ، فجاز بلا محرم ، وما سواه مستحب ، فلا بد فيه من محرم . (ينظر : المجموع : ٣٤٧/٨) .

أجيب بأن قوله : " بأنه قياس مع الفارق " تحكّم بلا دليل قوي معقول ؛ لأن الفرض والنفل يتساويان في كونهما عبادة وقربة ، وإنشاءِ السفر بكليهما . ثم كما لا يخفى على أصحاب العلم والفضل وأرباب العقل واللب أن اشتراط المحرم للمرأة في حج النفل ليس هدفها الأساسي إلا حفظها وصونها من شتى شرور وفتن ، وهو عام في الفرض والنفل ، ليس وجه وجيه لفضل الفرض على النفل في عدم اشتراط المحرم للمرأة .

٤.٦ – الأمر الصواب في قضية اشتراط المحرم للمرأة في حج الفرض :

واتضح مما سبق وتخلص أن يشترط المحرم لسفر المرأة للحج سواء كا فرضاً أو نفلاً . هناك محذورات من سفرها دون محرم أيضاً وأمورات مستزادة على ما تقدم من الأدلة النقلية والعقلية ، تتقاضى أن لا يجوز سفر المرأة للحج دون محرم شرعاً ، فمن أهمها :

أوّلاً : أمر النساء صعب جدّاً ؛ لأنهن في الضعف كاللحم الموضوع على خشبة ؛ فكيف تستطيع امرأة أن تحج بغير محرم . (ينظر : المقنع شرح الخرقي : ٥٨٣/٢ ، والمغني : ٣١/٥ ، والفروع : ٢٤٢/٥) .

ثانياً : والمرأة معرَّضة في السفر للصعود والنزول والبروز ، محتاجة إلى من يعالجها ويرفعها وينزلها ويمس بدنها من المحارم ، كما هو العادة والمشاهد في السفر ، وعند عدمه لا تكون مستطيعة ، ولو استطاعت

بعض النساء على الركوب والنزول بأنفسهن ، كما هو الآن ؛ ولكن مع ذلك هناك بعض المصالح لا تتحقق إلا بوجود محرم وخاصة في الحج (ينظر : بدائع الصنائع : ١٢٢/٢ ، وتبيين الحقائق : ٣٥٧/١ ، وشرح العمدة : ١٧٦/١) ، كما لا يخفى على من حج بيت الله الشريف ، مثل : أنها تمرض ولو كانت شابة قوية ، تحتاج إلى محرم متأكدة حينئذ ، يمس بدنها ويعالجها بمراحل مختلفة ، وغير المحرم لا يؤمّن على ذلك . ثم لا ينظر لبعض النساء ممن تستطيع ذلك من وجهة الأصل ؛ لأن العبرة بالغالب وتترتب الأحكام عليه .

ثالثاً : أنها بدون محرم تخشى عليها الفتنة والشيطان يستهدفها ويوجهها أينما شاء وكيفما شاء ، وغير المحرم لا يؤمّن ولو كان أتقى الناس ؛ لأن القلوب سريعة التقلب والتطور ، والشيطان بالمرصاد في كل وقت وآن (انظر : الهداية مع شرح فتح القدير : ٤٢٠/٢ ، وشرح العمدة : ١ ١٧٦) ، وقد أشار إلى ذلك النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم : " أَلا لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إلا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ " . (أخرجه الترمذي في الفتن ، بَابُ مَا جَاءَ فِي لُزُومِ الجَمَاعَةِ ، برقم : ٢١٦٥ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ ، وابن حبان في صحيحه ، ذِكْرُ الزَّجْرِ أَنْ يَخْلُوَ المَرْءُ بِامْرَأَةٍ أَجْنَبِيَّةٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ بِمُغِيبَةٍ ، برقم : ٥٥٨٦ ، والحاكم في المستدرك ، برقم : ٣٨٧ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ) .

رابعاً : يمكن أن يقال في ضوء ما سبق من الأدلة أن الأصل في سفر المرأة : أن يكون معها زوجها أو محرم من محارمها ، : بما سمّى رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة عورة ؛ فقال : " المَرْأَةُ عَوْرَةٌ ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ " (أخرجه الترمذي في الرضاع ، باب ، برقم : ١١٧٣ ، وقال : " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ " ، وابن خزيمة في صحيحه ، برقم : ١٦٨٥ ، وابن حبان في صحيحه ، برقم : ٥٥٩٨) . ومعنى العورة أن تكون مستورة عن أعين الناس مهما كان في وسعها ، ومحصورة في البيت مهما أمكن ، كما تقدم .

خامساً : ثم المقصود من سفر الحج ابتغاء وجه الله ونيل الأجر والثواب لا زيارة الكعبة ومكة المكرمة والمدينة المنورة ، والاستمتاع

بمنظر بهيج كائن في الأرض المقدسة ، والمتعة بزيارة الأمكنة والآثار التاريخية ، ثم ليس المنشود من الحج سفره وشد الرحل له ؛ بل إنجاز العبادة المقصودة بذاتها وتحقيقها بالنية الصالحة ، وإرضاء الله عز وجل وابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى .

فلتتأمل من تريد الحج من النساء بدون محرم ، إن أصبح سفر الحج سبباً للمعصية دون مرضاة الله وحصول الأجر والثواب ، فما الفائدة بمثل هذا السفر ؟ لأنه إذا منع الشرع الإسلامي عن أمر ، فمن أتت به ولم تنته عنه تصير مسيئة فضلاً عن الأجر والثواب .

فالحاصل أنه اتضح مما سبق أن سفر المرأة دون محرم لا يجوز شرعاً ، ولو كان للعبادة المحكمة المقصودة بذاتها ، ألا ! وهي الحج المفروض المبارك الكريم ، في حرم مكة المكرمة ، ثم ليعلم القارئ أنه لا يخلو من فتنة وابتلاء عظيم ، مهما كانت وسائل المواصلات والنقل تطورت ، أو كان السفر بالطائرات أو غير ذلك ، فيعتبر خروج المرأة بغير محرم لسفر الحج إثماً عظيماً وحراماً غليظاً ، وهي تعود من سفر الحج المبارك السعيد في جانب ، وفي جانب آخر تبوء باثم عظيم ؛ لأنها لم تمتثل بأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وتركت الأمر التعبدي ، وعرّضت نفسها للفتنة .

٥ – حج المرأة إذا كانت مع جماعة نساء ثقات مأمونات :

وأما قضية حج المرأة مع جماعة نساء ثقات محصنات مأمونات معروفات بالعفة والتدين ، فذهب بعض أهل العلم منهم الشافعية (المجموع : ٣٢٧/٩ ، فتح الباري : ٩٠/٤ ، المعتمد في الفقه الشافعي : ٢٧١/٢) إلى الجواز إذا أمن الطريق ، وهو قول مالك (الشرح الكبير مع المغني : ٢٠١/٣ ، المجموع : ٣٢٧/٩ ، المدونة الكبرى : ١٣٨/٢ ، مؤسسة النداء ، أبو ظبي) . وقال أبو حنيفة وأحمد : لا يجوز ، وبه قال إبراهيم النخعي ، والحسن البصري ، وأبو ثور وإسحاق ، وإنهم لا يجوزون حج المرأة إلا مع زوج أو محرم . البحر الرائق : ٥٥١/٢ ، الشرح الكبير مع المغني : ٢٠٠/٣ ، المجموع : ٣٢٧/٩) .

ثم قالت الشافعية : أقل عدد للنسوة اثنتان وهي الثالثة ، ولا يشترط أن يكون مع واحدة منهم محرم أو زوج ، واشتراط العدد اثنتان هو

شرط لوجوب الحج على المرأة ؛ لكن يجوز لها أن تخرج لأداء حجة الإسلام مع المرأة الثقة لوجوب الحج على الصحيح ، وهذا شرط جواز الخروج لأدائها . (المعتمد في الفقه الإسلامي : ٢٧٢/٢) . واحتجوا بما رُوي عن إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، " أَذِنَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لأَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا ، فَبَعَثَ مَعَهُنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ " . (أخرجه البخاري في الحج ، بَابُ حَجِّ النِّسَاءِ ، برقم : ١٨٦٠) .

وجه الاستدلال : أن هذا يدل على جواز سفر المرأة للحج مع النسوة الثقات إذا أمن الطريق ، واتفق عليه عمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف ونساء النبي على ذلك ، ولم ينكر عليهم غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم في ذلك (فتح الباري : ٩١/٤) . ثم اجتماع الرفقة من النسوة الثقات فيه مؤانسة وحماية فلا خوف . (نيل الأوطار : ٢٤٧/٤) .

وأما جمهور العلماء منهم الحنفية والحنابلة ، فاستدلوا بالنصوص الشرعية المختلفة السالفة في بيان " شرط المحرم في سفر المرأة لحج الفرض " ، منها على وجه الخصوص حديث ابن عباس المرفوع ، الذي يجدر أن يعتني به ، وهو : " لا تَحُجَّنَّ امْرَأَةٌ إِلا وَمَعَهَا ذُو مُحْرِمٍ " . كذلك تقدم مفصلاً أن المحرم من السبيل ، فكيف يجب الحج على المرأة بدونه ؟ ولماذا يجوز لها الخروج للحج دون محرم ؟

وأما قول الشافعية : إن أمن الطريق يكفي للمرأة أن تخرج من النسوة الثقات ، فنوقش بأن اشتراط الأمن على نفسها دعوى بلا دليل ، فأي دليل على هذا في هذا الباب ؟ واشتراط الأمن على النفس ليس بمخصوص في حق المرأة خاصة ؛ بل في حق الرجال والنساء كلهم . (عمدة القاري : ٥٥٦/٧) .

وأما أثر عمر رضي الله عنه ، فأجيب عنه بأوجه سبقت تحت ذكر : " نظرة على أدلة المجوزين " منها الوجه الأقوى أنه ليس في الحديث تصريح ولا أي شيئ يدل على أنه لم يكن معهن محرم . والقياس يقتضي ويقوّي احتمال أن يكون المحارم معهن في القافلة ، وبعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما زيادة في الإكرام والاطمئنان ؛ لأنه لا يظن بالصحابة مخالفة نهي

النبي صلى الله عليه وسلم عن سفر المرأة دون محرم . ثم يؤيَّد هذا الاحتمال بحديث ولو كان في سنده مقال لكن يمكن أن يستأنس به بهذا الصدد ، وهو يدل على وجود محارمهن ؛ فقد روى ابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٢هـ — ١٩٩٢م : ٣٢٧/٤) في حوادث سنة ٢٣هـ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ ، وَأَبِي حَارِثَةَ ، وَالرَّبِيعِ بِإِسْنَادِهِمْ قَالُوا : حَجَّ عُمَرُ بِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّه عليه وآله وَسَلَّمَ مَعَهُنَّ أَوْلِيَاؤُهُنَّ [مِمَّنْ] [٦] لا تَحْتَجِبْنَ مِنْهُ ، وَجَعَلَ فِي مُقَدَّمِ قِطَارِهِنِّ : عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ ، وَفِي مُؤَخِّرِهِ : عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ إلخ . ولأنه يوافق ظاهر الحال والروايات الأخرى التي جاء فيها تصريح المحرم .

وأما قولهم : " اجتماع الرفقة من النسوة الثقات فيه مؤانسة وحماية فلا خوف " . (نيل الأوطار : ٢٤٧/٤) . فأجيب بأن الفتنة حاصلة ؛ لأن خوف الفتنة لا يقل عند اجتماعهن بل يكون أكثر ؛ لأن الطمع بهن سيكون أكثر ؛ بما أن المرأة تقبل بشيطان ، وتدبر بشيطان ، كما أشير إلى ذلك في حديث رواه عَبْد اللَّهِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ " (أخرجه الترمذي في الرضاع ، باب ، برقم : ١١٧٣ ، وقال : " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ " ، وابن خزيمة في صحيحه ، برقم : ١٦٨٥ ، وابن حبان في صحيحه ، برقم : ٥٥٩٨) . ثم الرفقة ليست محرماً ولا في معنى المحرم ، فلِمَ يؤمّن عليها ؟ ثم المعلوم أن لكل ساقط لاقط (ينظر : الذ خيرة : ١٧٩/٣ ، وشرح ابن بطال لصحيح البخاري : ٥٣٣/٤ ، ونيل الأوطار : ٢٤٧/٤) .

وقيل أيضاً : إنها يخاف على المرأة الواحدة بلا محرم الفتنة ، وتزداد بانضمام غيرها إليها من ناقصات دين وعقل لا يؤمّن أن تنخدع فتكون عليها في الإفساد . (الهداية والبناية : ١٥١/٤) .

فنظراً إلى الأدلة يترجح قول الجمهور ، وهو أنه لا يجوز للمرأة أن تخرج لحج الفرض والنفل والعمرة مع جماعة نساء ولو كنّ ثقات محصنات مأمونات معروفات بالعفة والتدين .

٦ — سفر بعض النساء للحج أو العمرة بالطائرة دون محرم :

وفي زماننا الحاضر قد تهاونت بعض النساء في السفر العادي حتى للعمرة والحج أيضاً بالطائرة دون محرم ، ويعلل للجواز : محرمها يشيّعها

في المطار الذي أقلعت منه الطائرة ، والمحرم الآخر يستقبلها في المطار الذي تهبط فيه الطائرة ؛ لأن الأمن حاصل ، فإذا تحقق الأمن جاز لها السفر دون محرم أيضاً .

وهذه العلة عليلة في الواقع ، وادّعاء حصول الأمن غير صحيح ؛ بما يوجد في مثل هذا السفر خطرات محتملة خاصة في العهد الحاضر الذي هو عهد الشر والفتنة أصلاً ، فإن محرمها الذي يشيّعها ، لا يُدخلها في الطائرة ؛ بل يوصلها في صالة الانتظار ، وربما تتأخر الطائرة عن الإقلاع ، فتبقى هذه المرأة ضائعةً ، وربما تطير الطائرة ولا تتمكن من الهبوط في المطار الذي تريد لسبب من الأسباب وتهبط في مكان آخر ، فتضيع هذه المرأة ، وربما تهبط في المطار الذي قصدته ولكن لا يأتي محرمها بسبب من الأسباب ، إما نوم ، أو مرض ، أو زحام ، أو حادث منعه من الوصول ، ربما قد يكون في الطائرة بجانبها رجل لا يخشى الله ولا يخاف عباد الله فيغريها ، فتغتر ، وبه تحصل الفتنة والمحظور .

فأولاً يجب على المرأة أن تتقي الله وألا تسافر حتى للحج والعمرة دون محرم . وثانياً يجب على الرجال الذين جعلهم الله قوّامين على النساء أن يتقوا الله عز وجل ، وألا تذهب غيرتهم ودينهم ؛ فإنهم مسؤولون أمام الله تعالى ؛ فقال تعالى مخاطباً لهم : (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) [التحريم : ٦] .

اتضح مما سبق أن سفر المرأة دون محرم ولو كان للعمرة الشريفة أو الحج المبارك الكريم ، في حرم مكة المكرمة ، لا يخلو من فتنة وابتلاء عظيم في الطريق ، مهما كانت وسائل المواصلات والنقل تطورت وازدهرت ، أو كان السفر بالطائرة أو غير ذلك ، ثم لو كان الطريق مأموناً أو كان السفر بالطائرة بحيث يشيّع المرأة محرمها في مطار المدينة ، ويستقبلها المحرم الآخر في مطار جدّة ، ثم لا بدّ أن يستحضر ويلاحظ أن اشتراط المحرم في حج المرأة أمر تعبدي لا معلل بالمعاونة وخوف الفتنة كما سبق ذكره مفصلاً ، والتعليل بالمعاونة وخوف الفتنة حكمة لا حكم محكم ، وأمر مستزاد للتحذير والتخويف للنساء وأوليائهن وأزواجهن ؛ فلا يجوز شرعاً للمرأة أن تسافر للحج أو العمرة دون زوج أو محرم ولو كان بالطائرة .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتب فلسفية كثيرة ..... ولكن ..... !

بقلم : فضيلة الشيخ فاروق صالح باسلامة ، جدة

– شخصياً – اقتنيتُ كتباً كثيرةً في مواضيع الفلسفة القديمة والحديثة ، والصعبة التناول للوعي والاستيعاب ، والسهلة القليلة العدد والمفهومة أو قابلة للقراءة المستوعبة ، والوعي والمفهوم إلى درجة معقولة ، أو مستوى مقبول ، الأمر الذي جعلني أستمد في متابعة الصادر من كتبها ، ومتابعة الاطلاع والقراءة في مواضيعها الفلسفية ، والفكرية المنطقية منها والعقلية المدركة والمعاني وبعض قيمها التي يستساغ أن يبق القارئ والعاقل والعادل لما بين يديه والمنصف لذلك ، وأنه من المؤكد أن يدرك ذلك بحق ،وأنه على غير حق لو حكم على المؤلف بظلم أو بباطل !! إذ أن هذه مسألة عامة في الحساسية الفكرية والروحية والإيدلوجية ، فلا يجرؤ على ذلك إلا عديم الضمير – والعياذ بالله – أليس ذلك من العلم النافع ؟ والكلمة الطيبة إذا ساق هذا المؤلف حديثه أو فكرته علي هدي أو على كتاب منير !!

إن العلوم الفكرية والفلسفية إذا لم يشبها شائبة الباطل أو البهتان فإنها مقبولة ، ومرغوب فيها ، وفي أمثالها من العلوم التي تنفع الناس وتعطي لهم المفاهيم الصائبة والمعاني الحسنة والأفكار النيرة والأخلاق الحميدة ، وهذا الجانب من الفلسفة مؤكد في وجودها الفكري والمعنوي في ملفات الفكر الفلسفي وكتب مثل مؤلفات أبي حامد الغزالي ، والعقاد وأحمد فؤاد الأهواني ، وعلال الفاسي على سبيل الأمثال السائرة في الفلسفة الموضوعية والوسطية والفكر الفلسفي المؤمن المقبول ، ومفاهيمه السليمة وأفكاره الحسنة ، ومن خلال الاطلاع على كتب فلسفية أخرى كـ : " جمهورية أفلاطون " وكتاب " الكون والفساد " لأرسطو طاليس ، وفلسفة المشَّاء سقراط وإيثاره للفلسفة والمثالية الجاهلية حتى سقي السم لحد الموت ، الأمر الذي يُرى وكأنه

مات شهيداً في سبيل مبدئه المفضل وفكره المثالي وفلسفته العليا ومثاليته العريضة ، لهذا السبب ومثله أحجم كثير من العلماء والأدباء الفضلاء عن جانب الفلسفة وتراثها الفكري والمنطقي حتى قال ابن الصلاح في مقدمته الفقهية : " من تمنطق فقد تزندق " !!

إن القيم المعنوية سلبيةً كانت أو إيجابيةً ، ماديةً أو بعكسها المعنوي هي من سنن الحياة وطبيعة أمرها وأسسها الأصيلة ومعانيها الخاصة والعامة وفكرتها الموضوعية الأولى الأساسية والفطرية غير المكتسبة والتي تتسم بالواقعية والآنية الجمالية وسوى ذلك من التلقائية ونشوء الحق من الحق تعالى ، خالقها وفاطرها ومنشئها : (فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ) (سورة المؤمنون : ١٤) ، إن ذلك أبدع وأقص – هنا – معاني الغرض ، غرضنا المقصود من الفلسفة الإيجابية والتفلسف الحق الصافي من أكدار فلاسفة الإغريق واليونان والرومان وسواهم من الضلالية والواهمين بالمنطق الأجوف والفكر المنحرف بأنهم ملكوا الفكر العالمي والدولي قديماً ومستقبلاً ، وهذا أمر باطل القول والمعنى ، ولا مفهوم له حقاً أو باطلاً ! وإنما يلوكه بألسنتهم من هم ليسوا مؤمنين بقلوبهم وأفئدتهم هواء ، حتى الإمام ابن تيمية له الرد على المنطقيين ، وهذا هو اسم الكتاب له ، الذي رد فيه على أولئك المتفلسفة من الزنادقة والملحدين المنطقيين الظالمين ، وقد حاول الدكتور أحمد فؤاد الأهواني في كتبه " معاني الفلسفة " و " الحب والكراهية " و " فجر الفلسفة " أن يسبط الفكر الإسلامي كإضاءات إيمانية على الفلسفة التي ألف فيها بحوثاً وكتباً عديدةً في المجلات والمؤلفات منذ أكثر من خمسين عاماً ، وكان جديراً بذلك فهو ذو علم ودراية وفكر ورواية ونظر ورؤية نحو المسائل الفكرية والفلسفة العلمية والخبرة المعرفية ، وقد سار طويلاً في دروب هذه الثقافة المتنوعة وآدابها وفنونها ، حيث خبر أسرارها ومسائلها وأفكارها ومعانيها التي استمسك فكره بها وذوقه بلغتها وفهمه بما وراء الفلسفة وأبعادها ، إن هذا المسار المعنوي والاستقامة

الفكرية والمضي في عالم الفلسفة ودنياها وعوالمها المزدهرة بشيئ جميل وأمر حكيم يسير فيه المفكرون الأصلاء والفلاسفة الحكماء من أجل رفعة الفكر الإنساني وفلسفته البشرية ومنطقها الأصيل ، ومع كل ما سبق قوله فإن كثيراً ممن يُعنون بالفلسفة بشتى صنوفها لا يزالون في غمزة من كيل المديح شرحاً وترجمةً ، لفلسفة اليونان وغيرهم من ألمان وفرنسيس وإنجليز ! الأمر الذي لو استمر عطاء فلسفي كعطاء الأهواني ومن سار مثله لخرجنا بثروة فكرية في الفلسفة وأفكارها وإصلاح ما فسد من الفلسفة الحديثة وحتى القديم منها وازدهرت فروعها وما كتب على غرار تلك !! الفلسفة المنشودة في عالمها الفكري والمعنوي ، ولتخرجت أجيال يعون حقيقة معنى الفلسفة وفكرتها في الوجود الفكري الحقيقي ، لا الوجودية المغلوطة والطبيعة فحسب !

إن الفلسفة حب الحكمة وأسها ، وفي سورة البقرة قوله تعالى : (يُؤتِى الْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً) ، ومن الحكمة التدبر في آيات الكون الكبير الذي يشكل كثيراً من الأكوان من الكواكب والشمس والقمر والأراضي والناس وشتى النبات والحيوان والجمادات ومظاهر أخرى في هذا الكون الكبير ، وباطنه وما احتواه وانطوى عليه أو التبسه الشيئ الذي يحاد منه فكر الإنسان إذا وقف أمامه مكتوفاً ! إن هذا الأمر ينبغي من فلسفة حكيمة وفيلسوف حكيم ومتلق يبصر أمامه الحكم لا حكمةً واحدةً ، أو تفلسف أجوف ، وإنما مزيد من العطاء الفلسفي الإيجابي وترك سلبية الفلسفة الغربية وانحرافاتها الفكرية والسلبية وغير المفيدة إطلاقاً ، فالموضوع إيماني وليس علمانياً كما قد يُفهم من حديثنا ، فالعلم إذاً نفع فهو غير ضارٍ ! وأدبيته أخلاقية ، وهي ترشد الفكر وتهديه إلي الاستقامة الفكرية المعنوية مادياً وأدبياً ، علمياً وعملياً ودينياً ودنيوياً .

يقول فولتير في قاموسه الفلسفي : " يبدو لي أن الإغريق ، أساتذتنا ، كتبوا ليستعرضوا ذكاءهم بقدر أكثر بكثير مما استخدموا ذكاءهم ، من أجل التعليم ، لا أرى كاتباً واحداً من العصور

القديمة كان لديه نسق متماسك ، نسق واضح ومنهجي يتقدم من نتيجة لأخرى (ص ٢٦٩ ، فصل : خلاصة الفلسفة القديمة ، ترجمة يوسف نبيل ، دار هنداوي ، ط أولى ٢٠٢٠م ، المملكة المتحدة) .

إن هذا النص ومثله كثير ، يقدم دلالةً واضحةً على فم أحد الغربيين أنفسهم الذين يقولون بكل وضوح على انتقاد الإغريق الفلاسفة سواءً كانوا المعلم الأول أو معلمهم الأخير أو من يعجب بهم غربيين أو شرقيين !! والخلاف هنا ليس في ذات الفلسفة ، ولكنه في تناول المتفلسفة لمواضيعهم فيها لكأن ثمة عجزاً في تناول الموضوع الصحيح أو ما يفيد علمه في الوعي العام ويستسيغه الفكر الإنساني الفطري ، ومع ذلك فهم أو غالبيتهم لا يرغبون إلا في المغالطات الفكرية في الفلسفة وتقديم الغامض في أفكارها ، الأمر المتكلف أو كما يقال في الدراجة المصرية : " كلام لا يؤدي ولا يجيب ؟ " .

أو أن الإصرار هو افتعال للموضوع والاستمساك بقبضته القوية أو الخاوية على أصدق تعبير !! إن الفلسفة ليست أمراً هيناً أو علماً فارغاً أو فكراً أجوف بقدر معناها وإهداف الفيلسوف من الطرح والتعبير وإنشاء أفكارها الهادفة ! ومواضيع قضاياها وطروحاتها المفيدة والمثيرة للجدل والنقاش والمطارحة والحوار وتعاطي الأفكار والمداراة والمصابرة على ذلك كله ! عندما يحلو الكلام والحديث يغير بعضه بعضاً ، فلسفياً ومعرفياً ، وللتأكيد أن الشباب ، شبابنا المثقف ، مدرك لما يُطرح له من الفلسفة الحقة وفكرها البين إذا تعاون فلاسفة اليوم معهم من هذا المنطق وركيزته الواضحة البينة وستدخل الفلسفة التاريخ من جديد علامةً ونجاحاً طالما دخلته قديماً من أساس البناء الصعب ومرتكز الإغريق والفرس والهند بصورة صعبة المنال والتناول والطرح والوضع ومخاضه العسير ، ونرى أن توليد هذا التاريخ من جديد سينجم عن ثراوت فلسفية جديدة وفكر فلسفي ومنطقي حديث العهد والجدة وفي متناول الكفر الشبابي الفلسفي الحديث والمعاصر بإذن الله تعالى .

المناهج النقدية الحديثة في محك النقد

أ . د . مجيب الرحمن الندوي *

الملخص :

أفرزت التراكمات الثقافية والتيارات الفكرية المختلفة في أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلادي مناهج نقدية متنوعة تقاطعت مع الكثير من الآداب والمعارف والعلوم التي كان لها كبير الأثر في العلوم اللسانية والدراسات الإنسانية والأدبية والنقدية حول العالم بما فيها العالم العربي ، ما شكل امتداداً للتأثر من الفكر الغربي منذ انطلاق النهضة العربية ابتداءً من مطلع القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا ، ومع دخول الأصناف الأدبية الحديثة من الغرب من القصة ، والرواية ، والمسرحية ، والشعر الحديث التي وجدت تربة خصبة للنماء والتطور في معظم دول العالم العربي ، أعقبتها موجة من الأفكار والاتجاهات الأدبية والنقدية الوافدة من الغرب إلى الأدب العربي ، حيث لا يمكن أن يتطور العمل الأدبي دون أن يرافقه عمل نقدي مواز يبرز محاسنه وعيوبه وبالتالي يقومه ويهذبه ويغذيه وينميه ، فالعمل الأدبي كما يقول سيد قطب : " هو موضوع النقد الأدبي فالحديث عنه هو المقدمة الطبيعية للحديث عن النقد ، فتحديد العمل الأدبي ، وغايته وقيمته الشعورية والتعبيرية ، والكلام عن أدواته وطريق أدائه وفنونه هي نفسها النقد الأدبي في أخص ميادينه "[1] .

ولقد اتخذ النقد الحديث مسارين واضحين : النقد السياقي والنقد النسقي ، فالنقد السياقي يسترفد العوامل والمؤثرات الخارجة عن العمل الأدبي ويحللها ويأخذها في الاعتبار في تقويم العمل الأدبي ، ويعطي أولية لسياق النص ، ويمثله كل من المنهج التاريخي ، والمنهج الاجتماعي ، والمنهج النفسي ، وأضاف إليه سيد قطب المنهج المتكامل الذي يستفيد من كل هذه المناهج في تقويم العمل الأدبي ، فيما يتعامل النقد النسقي مع مناهج تركز على البحث في داخل النص بعيداً عن سياقاته الخارجية ، وقد تبلورت المناهج النقدية النسقية في منتصف القرن العشرين الميلادي

* مركز الدراسات العربية والإفريقية ، جامعة جواهر لال نهرو ، نيو دلهي .

[1] سيد قطب : النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، دار الشروق للطباعة والنشر ، القاهرة، ٢٠٠٣ ، ص ١١ .

بفضل ظهور حقول معرفية جديدة ، وأهم هذه المناهج البنيوية ومناهج ما بعد حداثية : ما بعد البنيوية والتفكيكية وسيمائية وتأويلية وجمالية التلقي . أحدثت هذه المناهج النقدية النسقية صدىً واسعاً وكبيراً في الأوساط الأدبية والنقدية والفكرية حول العالم ، ولم يقتصر أثرها الكبير على فنون الأدب واللسانيات ، وإنما تعدى إلى علوم وفنون أخرى .

هذا إلى جانب مجموعة من النظريات الأدبية والنقدية الأخرى التي ظهرت في الغرب وتطرقت إلى معظم آداب العالم منها الأدب العربي ، وقد ذكر الناقد نبيل راغب سبعين نظرية أدبية ونقدية في كتابه " موسوعة النظريات الأدبية "[1] ومن أبرزها الأسلوبية ، والماركسية ، والبرناسية والرومانسية ، والواقعية ، وما بعد الكولونيالية وغيرها ، وإن كان جلها ينقسم إلى قسمين مذكورين أعلاه : السياقي والنسقي .

يسعى هذا البحث بإيجاز إلى نقد بعض هذه المناهج النقدية الأكثر تداولاً وتأثيراً في الدراسات النقدية في العالم العربي ولا سيما المناهج النقدية النسقية كونها لا تتواءم مع الظروف والأوضاع والبيئات التي يُنتجُ فيها الأدب العربي بمعظم أصنافه ، ولأنها تتنافى مع القيم والمبادئ الإسلامية الثابتة التي تقوم عليها المجتمعات الإسلامية في الوطن العربي ، ولأنها في جوهرها علمانية وإلحادية بحتة ، وهي بالأساس مناهج هدم ، وليس مناهج بناء .

الكلمات المفتاحية :

النقد السياقي ، النقد النسقي ، ما بعد الحداثة ، البنيوية ، ما بعد البنيوية ، التفكيكية ، جمالية التلقي .

أثناء تدريسي لمادة النظريات الأدبية والنقدية الحديثة لطلبة الماجستير في جامعتي منذ ثلاث سنوات طالما وقعتُ في حيرة إزاء الغموض والتعقيد الشديدين لهذه النظريات والمناهج الأدبية والنقدية الحديثة التي نالت وتنال اهتماماً كبيراً من نقادنا العرب ، وهم كثارى ، وقد ألفت حولها مئات من الكتب ، ويجري إسقاط هذه المناهج على النصوص الأدبية العربية من أجل دراستها وتفسيرها وتحليلها ، ودهشتُ أيضاً حيال شذوذها وميلها إلى تحطيم وهدم كل المسلمات العقدية والقيم والمبادئ الأخلاقية الثابتة ، والموروثات الدينية ، وإذا تم إسقاط هذه المناهج على

---

[1] نبيل راغب : موسوعة النظريات الأدبية ، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٣ ، ص ح .

النصوص الدينية ، كما فعله بعض كبار نقادنا الحداثيين [1] ، وكما تدعي هذه المناهج بأنها قابلة للتطبيق على أنواع النصوص جميعها ، ففي هذه الحالة ستتزعزع أسس الإيمان والعقيدة ، ويكون بمثابة هدم أركان الإسلام وتشكيك المسلمين في دينهم بحجة مسايرة العصر ، وتساءلتُ في نفسي إلى أي مدى تصلح المناهج النقدية الحديثة الوافدة من الغرب لدراسة النصوص العربية ، وهل يجوز أن نحمل نصوصنا ثقل النظريات الوافدة عليها ، فهذه النظريات كونها انطلقت من فلسفات وتراث فكري ونقدي ونص غربي تختلف عما هو موجود في الثقافة العربية .

مناهج سياقية للنقد : المنهج التاريخي ، والاجتماعي ، والنفسي :

لقد أفرزت القراءات السياقية للنصوص عدداً من المناهج التي نظرت إما في تاريخيتها أو اجتماعيتها أو واقعيتها ، ومنها المنهج التاريخي الذي " يتخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب وتعليل ظواهره أو التاريخ الأدبي لأمة ما " [2] ، ويهتم هذا المنهج بإبراز الظروف التاريخية التي أنتج فيها النص ، دون الاهتمام بالمستويات الدلالية الأخرى ، وعلى حد تعبير أحمد الشايب " يقوم هذا المنهج على الصلة الوثيقة بين الأدب والتاريخ ، فأدب أمة ما من الأمم يعد تعبيراً صادقاً عن حياتها السياسية والاجتماعية ، ومصدراً مهذباً من مصادرها التاريخية ذلك لأن الأدب يُلم بروح الحوادث والأطر المتعاقبة فيصوِّرها ثم يتأثر بها " [3] ومن رواد هذا المنهج في الغرب سانت بيف (١٨٠٤ – ١٨٦٩م) ، وهيبوليت

[1] سعيد محمد أركون ، المفكر الجزائري الفرنسي (١٩٢٨ – ٢٠١٠) في كتابه " القرآن الكريم من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني " وعدد كبير من مؤلفاته الأخرى ، والمفكر المغربي محمد عابد الجابري (١٩٣٥ – ٢٠١٠) ، في كتابه " فهم القرآن الكريم " ، والمفكر التونسي هشام جعيط (١٩٣٥ – ٢٠٢١)، في سلسلته للسيرة النبوية " في السيرة النبوية ١ : الوحي والقرآن والنبوة ، وفي السيرة النبوية ٢ : تاريخية الدعوة المحمدية ، وفي السيرة النبوية ٣ : مسيرة محمد في المدينة وانتصار الإسلام ، والشاعر السوري علي أحمد سعيد أدونيس(مولود عام ١٩٣٠م) في كتابه " الثابت والمتحول " ، وكثيرون غيرهم ممن استعانوا بهذه المناهج النقدية الحداثية / ما بعد الحداثية خصوصاً التفكيكية في تحليل وإعادة تفسير الخطاب الديني في الإسلام .

[2] يوسف وغليسي : مناهج النقد الأدبي ، ط ٢ ، جسور للنشر والتوزيع ، المحمدية ، الجزائر ، ٢٠٠٩ ، ص ١٥ .

[3] أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي ، ط ١٠ ، مكتبة النهضة المصرية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٤م ، ص ٩٤ .

تين (١٨٢٨ – ١٨٩٣م) ، وغوستاف لانسون (١٨٥٧ – ١٩٣٤م) وفي النقد العربي يعد أحمد ضيف (١٨٨٠ – ١٩٤٥) ، ومحمد مندور (١٩٠٧ – ١٩٥٥) وأحمد أمين (١٨٨٦ – ١٩٥٤) من رواد هذا المنهج وسار عليه كثيرون من النقاد من أمثال شوقي ضيف وآخرين ، وأما المنهج الاجتماعي فهو منهج يربط بين الأدب والمجتمع بجميع طبقاته ، فيكون الأدب ممثلاً للحياة على المستوى الجماعي لا الفردي ، ومن رواد المنهج في الغرب جورج لوكاتش (١٨٨٥ – ١٩٧١) وبلخانون (١٨٥٧ – ١٩١٨) ، ولينين (١٨٧٠ – ١٩٢٤) ، وحظي المنهج بقبول واسع لدى النقاد العرب ، وقد أسهب الكلام فيه كثيرون بمن فيهم سيد قطب في كتابه " النقد الأدبي أصوله ومناهجه " .

ومن جهة أخرى يقوم المنهج النفسي " بإخضاع النص الأدبي للبحوث النفسية ، ويستند إلى النظريات النفسية في تفسير الظواهر الأدبية والكشف عن عللها ومنابعها الخفية وخيوطها الدقيقة ، وما لها من أعماق وأبعاد وآثار ممتدة [١] ، واستند المنهج إلى نظريات سيجموند فرويد (١٨٥٠ – ١٩٣٩) في التحليل النفسي الذي يعد مؤسس علم التحليل النفسي ، وحاول النقاد العرب أيضاً تطبيق المنهج النفسي لدراسة النصوص الأدبية وهم أمين خولي (١٨٩٦ – ١٩٦٦) ، وعباس محمود العقاد (١٨٨٩ – ١٩٦٤) ، ومصطفى سويف (١٩٢٤ – ٢٠١٦) وآخرون كثيرون .

مناهج نقدية نسقية :

البنيوية :

والمناهج النقدية النسقية تقوم بإقصاء النص عن سياقاته ومؤثراته الخارجية ، وتنظر إلى النص كبنية مستقلة مكتفية بذاتها ، " ولا يتطلب إدراكها اللجوء إلى أي عنصر من العناصر الغريبة عنها ، وعن طبيعتها ، ومنه فالنص هو بنية تتكون من عناصر ، وهذه العناصر تخضع لقوانين تركيبة تشد أجزاء الكيان الأدبي " [٢] وحيث تستبعد البنيوية العوامل والمؤثرات والسياقات الخارجة عن النص وتحررها من أثر المؤلف (كما ادعى الناقد رونالد بارت بموت المؤلف) ، يصبح النص عند البنيويين مستقلاً ومكتفياً ذاتياً تماماً لا دخل فيه لشخصية الكاتب ،

---

[١] عبد العزيز عتيق : في النقد الأدبي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٢ ، ص ٢٩٥ .

[٢] إبراهيم محمود خليل : النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٧ ، ص ٦٩ .

وخلفيته والبيئة التي أنتج فيها النص . ويعد فرديناند دي سوسير (١٨٥٧ – ١٩١٣) العالم اللغوي الشهير مؤسس المنهج البنيوي ، ويعتبر كل من رومان جاكوبسون وكلود ليفي شترواس من رواد المنهج البنيوي الذي سرعان ما انتشر في العالم كله وأصبح من أقوى المناهج النقدية والفكرية في ستينيات القرن الماضي .

" وتستند البنيوية إلى مجموعة من المصطلحات والمفاهيم الإجرائية في عملية الوصف والملاحظة والتحليل ، وهي أساسية في تفكيك النص وتركيبه كالنسق والنظام والبنية والداخل والعناصر والشبكة والعلاقات والثنائيات وفكرة المستويات وبنية التعارض والاختلاف والمحايثة والسانكرونية والدياكرونية والدال والمدلول والمحور التركيبي والمحور الدلالي والمجاورة والاستبدال والفونيم والمورفيم والمونيم والتفاعل ، والتقرير والإيحاء ، والتمفصل المزدوج . إلخ . وهذه المفاهيم ستشتغل عليها فيما بعد كثير من المناهج النقدية ولاسيما السيميوطيقا الأدبية والأنثروبولوجيا والتفكيكية والتداوليات وجمالية القراءة والأسلوبية والموضوعاتية " [١] .

ما بعد البنيوية :

انبثقت ما بعد البنيوية من البنيوية ذاتها وتمثل مراجعة نقدية للفكر البنيوي ، " وتدور أسئلة ما بعد البنيوية المركزية حول البنية الاجتماعية واللغة ، وامتلاك فضاءات واسعة للتصورات المستقبلية . فقد رأت أن البنيوية قدمت نسقاً مغلقاً لقراءة العالم ، يتمثل في النص أو لغة النص ، والعالم أكثر رحابة من أن نحصره في نسق واحد ، كما أن لغة النص امتداد لما في العالم من حوله ، فلا يمكن تفسيرها بمعزل عما هو خارج النص ، وعن ذاتية المتلقي والسياق المنتج فيه " [٢] ومن أبرز منظري ما بعد البنيوية ميشيل فوكو ، وجاك دريدا ، ورولان بارتوجوتاري ، وبودريلار ، وليوتارد وغيرهم .

---

[١] https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%86%D9%8A%D9%88%D9%8A%D8%A9

[٢] مصطفى عطية جمعة : صحيفة القدس العربي ،
https://www.alquds.co.uk/%D9%85%D8%A7-%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%86%D9%8A%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%83%D8%B1-/%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%88%D8%B1%D8%A9

التفكيكية :

نشأ المنهج التفكيكي ، وهو أكثر المناهج النقدية إثارةً للجدل ، وأشدها تأثيراً أيضاً بعد البنيوية ، على أنقاض البنيوية في السبعينيات من القرن العشرين الميلادي ، وترتبط التفكيكية باسم الكاتب والمفكر الفرنسي جاك دريدا [١] الذي عرف بتعدد جوانبه وخصب اهتماماته [٢] ، وعملية التفكيك ترتبط أساساً بقراءة النصوص وتأمل كيفية إنتاجها للمعاني وما تحمله من تناقض ، فهي تعتمد على تفكيك حتمية معنى النص ، وتخرب كل شيئ في التقاليد ، وتشكك في الأفكار الموروثة عن العلاقة ، اللغة ، النص ، السياق ، المؤلف ، القارئ ، ودور التاريخ وعملية التفسير وأشكال الكتابة التقليدية [٣] .

والتفكيك يعني حركة نقض ترابط البناء [٤] وبحسب دريدا " التفكيك حركة بنيانية وضد بنيانية في الآن نفسه ، فنحن نفك بناء أو حادثاً مصطنعاً لنبرز بنيانه وأضلاعه وهيكله ، ولكن نفك في آن معاً البنية التي لا تفسر شيئاً فهي ليست مركزاً ولا مبدأ ولا قوة ، فالتفكيك هو طريقة حصر أو تحليل يذهب أبعد من القرار النقدي [٥] .

التفكيكية تعنى في الأساس بهدم المركز المرجعي لمعنى النص ، ويسمونه اللوغوس ، أي المرجعية في علاقة الدال بالمدلول ، وبالتالي فإن كل قراءة للنص هي قراءة ناقصة تتطلب قراءة جديدة إلى ما لا نهاية له من القراءات والتفسيرات ، فالمعنى الكامل لن يمكن الوصول إليه إطلاقاً ، وبتجدد القراءات يتحقق الإبداع الحقيقي ، وتقوم التفكيكية على مبادئ الاختلاف ، وعلم الكتابة والتمركز حول العقل وموت المؤلف .

ولقد كانت تفكيكية دريدا نتاجاً لمناخ فكري وحضاري معين

---

[١] جاك دريدا (١٩٣٠ – ٢٠٠٤) ، مفكر ، ناقد ، فيلسوف شهير ، مؤسس المنهج التفكيكي في الأدب والنقد والفلسفة .

[٢] إبراهيم محمود خليل : النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٧ ، ص ١٠٣ .

[٣] عبد العزيز حمودة ، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ، عالم المعرفة ، العدد ٢٣٢ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ص ٢٥٤ .

[٤] يوسف وغليسي : إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، ط ١ ، منشورات الاختلاف ، ٢٠٠٨ ، ص ٣٥٠ .

[٥] جاك دريدا : الكتابة والاختلاف ، ترجمة كاظم جهاد ، ط ٢ ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، ١٩٨٣ ، ص ٥٧ .

أي نتيجة حتمية للأوضاع التي عاشتها أوربا التي سعت إلى التخلص من سلطة الكنيسة التي صادرت الفكر والحريات ، فتمردت وثارت ، ثم جاء المشروع الحداثي ومعه سردياته الكبرى عن سلطان العلم التجريبي والعقل الذي كان سبباً في شقاء الإنسان الغربي لاسيما في ظل الحربين العالميتين اللتين سببتا دماراً هائلاً لا يوجد له مثيل في التاريخ البشري ، تمخض ذلك عن الثورة على الحداثة بكافة معطياتها ومقولاتها الكبرى فشاع الشك ، وغابت الحقيقة ، وعمت الفوضى ، وفقدت الثقة ، فأتى جاك دريدا بفكرة التفكيك مستفيداً من نظريات سابقة ، ومستنداً بالخصوص إلى فلسفة " نيتشه " في مواجهته لمفهوم الحقيقة في الميتافيزيقيا الغربية ، وفي دراسات هيدغر التي تنزع إلى الشك في كل الخطابات الفلسفية من خلال فلسفته التأويلية التي حاول من خلالها فتح باب تعداد القراءات ولانهائية التفسير [1] ، ونيتشه هو القائل بموت الإله ، ومركزية العقل ، وهو الفكر المتغلغل في صميم الفكر الحداثي وما بعد الحداثي ، وأخذه دريدا خطوة إلى الأمام حين دعا إلى تحطيم الـ " لوغوس " أي مرجعية المعنى ، وإحداث حالة مستمرة من الهدم والبناء إلى ما لا نهاية له .

ويعد الناقد السعودي الشهير عبد الله الغذامي من رواد التجربة النقدية التفكيكية في العالم العربي [2] مع هشام صالح ، وعبد العزيز بن عودة وآخرين ، والآن تتوافر عشرات المؤلفات باللغة العربية عن التفكيكية .

جمالية التلقي :

" إن نظرية التلقي هي عملية زحزحة لمركزية المؤلف والاهتمام بالقارئ أو المتلقي ، وهذا ما ظهر في مدرسة كونستانس التي هي أولى محاولات لتجديد دراسة النصوص في ضوء القراءة ، وكان اهتمام الباحثين قبل ذلك منصباً على كشف الروابط القائمة بين النص ومبدعه ، فراح أتباع هذه المدرسة ينادون بانتقال العلاقة من الكاتب على نصه إلى العلاقة بين القارئ والنص " [3] .

---

[1] عبد الغاني بارة : إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العري المعاصر ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ٢٠٠٥ ، ص ١٠٨ .

[2] يوسف وغليسي : إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، منشورات الاختلاف ، ٢٠٠٨ ، ص ٣٥٠ .

[3] فتيحة سريدي : نظرية جمالية التلقي في النقد العربي الحديث ، مجلة التواصل في اللغات والآداب ، العدد ٣٧ ، ٢٠١٣ ، ص ١٢١ .

تتخلص مبادئها في محورية القارئ ، فأهمية العمل الأدبي تكون بالقراءة فقط . " النص الأدبي نص مفتوح ، وبهذا المعنى أعادت لذلك العمل جماليات التلقي للقارئ الذي سلبته إياه الكلاسيكية ، فجعلته منتجاً للنص .

فالنص لا قيمة له ما دام حروفاً على الورق حتى يعطيه القارئ الحياة ، ولهذا جعلت جماليات التلقي القارئ قوة مسيطرة تمنح النص الحياة ، وتعيد إبداعه وتصبح القراءة عملية إنتاجية " [1] .

خلاصة البحث :

تبيّن مما سبق أعلاه أن جميع المناهج النقدية الحديثة لا تخلو من عيوب ونقايص ، فالمناهج السياقية من التاريخي والاجتماعي والنفسي تركز على جوانب خارجة عن النص مع الإغفال عن جمالية النص وبنيتها الدلالية ، ومع ذلك فقد أفادت المناهج في تفسير العمل الأدبي ، أما المناهج النسقية فهي أكثر تطرفاً وأشد خطورة لنزوعها إلى زحزحة الموروثات والثوابت في المعتقدات وخلخلة المجتمعات من المرجعيات الدينية والتاريخية ، فالبنيوية تقدم نسقاً مغلقاً لقراءة النص يتمثل في النص ولغة النص وحدها ، كما تسعى التفكيكية الى هدم وتقويض مرجعيات المعنى وبالتالي تؤدي إلى الفوضوية المطلقة في التفسير والتأويل ، وباستخدام المنهج التفكيكي سعى بعض المفكرين العرب إلى التشكيك في صحة القرآن ونبوة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ومرجعية الدين الإسلامي ، وجمالية التلقي أيضاً تمنح الحرية التامة والسلطة المطلقة للقارئ ليفسر النص كيفما شاء على هواه ورغبته دون أن يتقيد بأصول وضوابط معينة ، يضاف إليه أن كل هذه المناهج النقدية إلحادية وهدامة في صميمها كونها نشأت في الغرب في ظل معطيات ثقافية وحضارية وفكرية معينة ، وإن قراءة النصوص الدينية في ضوء هذه المناهج تؤدي إلى هدم أركان الإسلام والإيمان والتشكيك في الدين والعقيدة ، فعلينا أولاً دراسة كل هذه المناهج والنظريات بدقة وإمعان والاستفادة منها ومع ذلك يجب أن نطور المناهج الإسلامية الأصيلة لأن كل هذه المناهج نشأت في الغرب نتيجة التمرد على الكنيسة وفي ظل إنكار وجود الله ، وأيضاً فإن هذه المناهج تفرغ النصوصَ من معانيها ومقاصدها التي كتبت لأجلها وتترك القارئ في متاهات ليس من ورائها إلا الضياع والضلال .

---

[1] محمد عزام : النص المفتوح التفكيك أنموذجاً ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، العدد ٣٩٨ .

اللواء الركن / محمود شيت خطاب

قائد عظيم ووزير مخلص وكاتب بارع ومؤرخ عسكري حصيف

الدكتور غريب جمعة – جمهورية مصر العربية

(الحلقة الثانية)

نشأته ودراسته وشيئ من حياته العلمية :

ولد بمدينة الموصل عام ١٩١٩م في أسرة تعمل بالتجارة ، ونظراً لأن والدته رزقت بأخ له بعد عام من مولده ، فقد تولت جدته لوالده حضانته ورعايته ، وكان لهذه الجدة الصالحة الفضل في تربيته تربيةً إسلاميةً ، حيث كانت تأخذه معها إلى المسجد لصلاة المغرب ، ويبقى معها حتى صلاة العشاء ثم تعود به إلى البيت ، واستمرت في رعايتها له حتى انتقلت إلى جوار ربها ، وكان قد بلغ السادسة عشرة من عمره . وقد نظم قصيدةً في رثائها فيما بعد جاء فيها :

أجهدت نفسك فاسترحت قليلاً ... قد كان عبئك في الحياة ثقيلاً
نزلت عليك مصائب الدنيا ولو ... نـزلت على جبل لخرَّ مهيلاً
وجد القنوط إلى الرجال سبيله ... وإليك لم يجد القنوط سبيلاً
ولرب فرد في سمو فعاله ... وعلوه خلقا يعادل جيلاً

ونكرر التنبيه على الدور الخطير للحاضنة والمربية في حياة الطفل فيما بعد حتى يراجع الإخوة الذين يستعينون بالمربيات الأجنبيات أنفسهم في ذلك . أدخله والده الكتّاب فتعلم فيه تجويد القرآن وتلاوته وحفظ وتعلم فيه الخط ومبادئ الإسلام ثم التحق بالمدرسة الابتدائية حينما بلغ الثامنة من عمره .

وكان يصحب والده إلى مجالسه ، حيث يجتمع الكبار ، ويتحدثون في موضوعات شتى ويتدارسون مشكلات المحيطين بهم وحل بعض المعضلات ويناقشون ما يسمعون من الأخبار . وكان والده يكلفه بقراءة أحد كتب التاريخ على الحاضرين ، ولعل ذلك كان من أسباب حبه للتاريخ دون بقية العلوم والكتابة فيه . أتم مراحل التعليم الثلاث بالموصل وهي الابتدائية والمتوسطة والثانوية ثم التحق بالكلية العسكرية

عام ١٩٣٧م وتخرج فيها برتبة ملازم في سلاح الفرسان وقد سأله آمر السرية في ذلك الوقت :

أتشرب الخمر ؟ أتلعب القمار ؟ أتحب النساء ؟ ولما أجاب بالنفي قال آمر السرية : إن انضمامك إلى سريتي نكبة عليّ !! ثم يوضح الأمر بجلاء ، فيقول – رحمه الله – : بعد تخرجي ضابطاً عام ١٩٤١م كان من تقاليد الجيش أن تؤلم وليمة للضباط الجدد وشهدت الحفل مع زملائي ، فجاء قائد الكتيبة وقد ملأ كأساً من الخمر وأمرني أن أبدأ حياتي بشرب الخمر ، وكان الليل قد أرخى سدوله ، وكانت السماء صافية تتلألأ فيها النجوم ، وكان قائد الكتيبة برتبة عقيد يحمل على كتفيه رتبته العسكرية وهي بحساب النجوم اثنتا عشرة نجمة فقلت له :

" إني أطيعك في أوامرك العسكرية وأطيع الله في أوامره ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، إنك تحمل على كتفيك اثنتي عشرة نجمة فانظر إلى سماء الله لترى كم تحمل من نجوم . فبهت القائد وردد . . . السماء . . . السماء . . . نجوم السماء ، ومضى غضبان أسفاً وشعرت بأن موقفي هذا ليس مطاولةً بيني وبين القائد ، ولكنها مباراة بين إرادة بشر وبين إرادة خالق البشر " . ثم استكمل دراسته العسكرية وتم ابتعاثه إلى دورة في بريطانيا مدة عامين وعند التخرج كان ترتيبه الأول على مأة ضابط من جيوش العالم المختلفة ، وكان من بين أساتذته المارشال " مونتجمري " بطل معركة العلمين بمصر ، حيث هزم فيها الإيطاليين هزيمة منكرة جعلت ميزان القوى في الحرب العالمية الثانية يميل لصالح الحلفاء . ثم تدرَّج في مناصبه حتى وصل إلى رتبة لواء أركان حرب ، ويحكي بعض ما حدث له في هذه البعثة فيقول : " لما ذهبت للدراسة في الكلية العسكرية بلندن سألني عميد الكلية : لماذا قدمت ؟ قلت : قدمت لتجديد معلوماتي العسكرية ولتلقي أي جديد في العالم ، فعقب العميد على كلامي : بل قدمت لتتعلم مغازلة الفتيات . فكظمت غيظي وقلت في نفسي : إن هذا وأمثاله لا يلقون كلامهم جزافاً وإن هذا يحكم عليّ بما شاهده في سواي " .

ولما ذهبت إلى السكن المخصص لي وجدت فتاةً تعمل على ترتيب غرفة نومي فانتظرت في البهو من دون أن أعيرها اهتماماً حتى إذا خرجت

سألتني : هل لديك توجيهات ؟ فقلت : شيئ واحد ، هو أن تحضري لأداء مهمتك عندما لا أكون حاضراً .

لم يكن الرجل وهو ضابط بالجيش العراقي يعيش في إطار وظيفته بمعزل عن الأحداث التي تدور من حوله ، ولكنه شارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١م وأصابته قنابل الإنجليز بشظاياها ، ولكن الله كتب له الشفاء على الرغم من شكوك الأطباء في ذلك . كما اشترك في حرب فلسطين كواحد من قوات الجيش العراقي واستطاعت قواته بقيادته أن تسترد مدينة (جنين) في المعركة الكبيرة التي عرفت باسمها بعد أن استولت عليها العصابات اليهودية ، وقد نظم شعراً بهذه المناسبة جاء فيه :

هذي قبور الخالدين وقد قضوا ... شهداء حتى ينقذوا الأوطانا
المخلصون تسربلوا بقبورهم ... والخائنون تسنموا البنيانا
لا تعذلوا جيش العراق وأهله ... بلواكمُ ليست سوى بلوانا
أ(جنينُ) يا بلدَ الكرام تجلدي ... ما ضاع حق ضرجته دماناً
إني لأشهد أن أهلك قاوموا ... غزو اليهود وصاولوا العدوانا
فإذا نكبت فلست أول صارم ... بهظته أعباء الجهاد فلاناً
مرجُ ابن عامر خضَّبته دماؤنا ... أيصير ملكا لليهود مهاناً
إن الخلود لمن يموت مجاهدا ... ليس الخلودُ لمن يعيش جباناً

ثم عاد الرجل مع قواته إلى العراق بعد حلول الهدنة التي كانت وبالاً على العرب ، حيث التقط اليهود أنفاسهم واستعادوا قوتهم ، فكانت الكارثة الكبرى بضياع فلسطين مما يعرفه الجميع . وشارك في ثورة ١٩٥٨م وتبوأ أرقى المناصب العسكرية والسياسية قائداً مهيباً ، ووزيراً مخلصاً ، ثم كانت ثورة الموصل على عبد الكريم قاسم بقيادة عبد الوهاب الشواف وقد شارك فيها أيضاً ، ولكن الشيوعيين قعدوا له كل مرصد حتى تم اعتقاله ، ومكث بالمعتقل ثمانية عشر شهراً ذاق فيها ألواناً من التعذيب الشديد وأصابته كسور كثيرة وتحمل آلامه صابراً محتسباً ، وكذا تظهر الشدائد معادن الرجال وتبرز المحنُ إخلاصَ المجاهدين ابتغاء وجه الله تعالى .

الإمام علاء الدين علي بن أحمد الشافعي المهائمي :
حياته وخدماته

بقلم : الأخ محمد سلمان الندوي البجنوري *

كان الشيخ الإمام العلامة الكبير علاء الدين علي بن أحمد الشافعي المهائمي الكوكني رحمه الله تعالى ، ممن أكرمهم الله بالفضل والكمال والتفقه في الدين ، وأسبغ عليهم لباس الورع والتقوى وفتح عليهم باب العلم والإيمان وكشف لهم معاني الحكمة والإحسان . وُلد في مهائم من مناطق بلدة مومباي سنة ست وسبعين وسبع مأة من الهجرة ، كنيته أبو الحسن ، لقبه زين الدين والمعروف بمخدوم علي ، وقبره مشهور في المهائم .

يقول عنه مؤرخ الهند العلامة الشريف السيد عبد الحي الحسني رحمه الله تعالى في كتابه الشهير " الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام " : " الشيخ الإمام العالم الكبير العلامة علي بن أحمد الشافعي علاء الدين أبو الحسن المهائمي الكوكني ، كان من طائفة النوائت ، كثوابت ، أو النوائط كضوابط ، قوم في بلاد الدكن وغجرات ، قيل : طائفة من قريش خرجوا من المدينة المنورة خوفاً من الحجاج بن يوسف الثقفي ، وبلغوا ساحل البحر وسكنوا به ، ومهائم كعظائم بندر من بنادر كوكن ، وهي ناحية من غجرات ، مجاورة من البحر المحيط ، وكانت ولادة المهائمي في سنة ست وسبعين وسبع مأة من الهجرة " . (الإعلام ، الجزء الثالث ، ص : ٧٩) .

إن الشيخ المهائمي رحمه الله تعالى جمع بين نواح متعددة من الإيمان والإسلام والعلم والعمل بالشريعة والدين ، والمعرفة والسلوك ، وأحرز بخدماته العلمية وإفاداته السلوكية وتضحياته الدعوية الإسلامية ومصنفاته القيمة الكثيرة ذروةَ الكمال والاعتبار بين أهل العلم والمعرفة ، وكان الناس يأتون إليه من كل فج عميق ليستفيدوا من مأدبة

* أستاذ بدار العلوم ندوة العلماء ، لكناؤ .

علمه وجمال أدبه وحلاوة إيمانه وطهارة قلبه ولذة معرفته وحسن سلوكه ، وكان الشيخ المهائمي رحمه الله قام بإفادتهم مما يملكه من العلوم والمعارف وملأ قلوبهم بنور الإيمان ومعرفة الله تعالى وزكى نفوسهم بتعاليم القرآن والسنة ودعاهم إلى ما ينفعهم من خير الدين والدنيا والاعتدال والتوازن والصراط المستقيم .

حصل الشيخ المهائمي رحمه الله على العلوم الإسلامية وأخذ العلوم الشرعية من القرآن والحديث والفقه والتفسير والمنطق والفلسفة في صغر سنه ، وهو لم يتجاوز من عمره تسع سنوات لدى والده الشيخ أحمد رحمه الله لأنه كان من كبار العلماء والفضلاء في زمنه ، وماهراً في المعقولات والمنقولات ، وكاد أن تنتهي دراسته لديه حتى لفَظ والده نفَسه الأخير وانتقل إلى جوار ربه تاركاً ابنه الصغير ووالدته ، بعد عدة أيام نشأ في قلب هذا الولد الصغير الرغبة الصادقة في اكتساب العلوم الباطنة والمعرفة والطريقة ، ولم يطمئن إلى ما حصله من العلوم الظاهرة وهو يحثه شوق عجيب وشرارة كامنة في نفسه الطموح على الاشتغال بالمعرفة وتزكية النفس والحب الإلهي وتروية الروح المعطاش ، ولكن والدته لم ترض بأن يبتعد عن عينيها ولم تأذن له أن يسافر إلى أي بلد للاستفاضة ، ودعت الله سبحانه وتعالى أن يهيئ له أسباب العلم والمعرفة والتربية والسلوك في وطنه ، فالله سبحانه وتعالى أعطاه من العلوم الظاهرة والباطنة ، ويقال : إنه كان يذهب إلى ساحل البحر ، ويلقى هناك الخضر عليه السلام ، وهو يعلمه من العلوم والمعرفة ، (مستفاد من حياة الشيخ مخدوم علي المهائمي ، ص : ١٤ — ١٥) .

إن الشيخ المهائمي رحمه الله تعالى من العلماء المصلحين الربانيين ، وقد رفع الله تعالى مكانته ومنزلته بين الخاصة والعامة ، وبلغ إلى ذروة الكمال في العلوم والمعارف ، قام بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وشحن القلوب المظلمة نوراً وإيماناً وأرشد الناس التائهين إلى الهداية والصراط المستقيم ، وإن له شأناً أي شأن في العلوم الشرعية والمعرفة والسلوك ، فلذا تهافت عليه الناس من كل ناحية من نواحي البلاد تهافت الظمآن على الماء ، وله كرامات كثيرة وأعمال جليلة وآثار خالدة في

العلم والسلوك ، وكذلك له مصنفات كثيرة ممتعة ، فيقول العلامة الشريف السيد عبد الحي الحسني رحمه الله في كتابه : " ومن أحسن مصنفاته تبصير الرحمن وتيسير المنان في تفسير القرآن ، ومن خصائصه أنه تصدى فيه لربط الآيات بعضها ببعض وقد أجاد في ذلك ، وطُبع في مجلدين في مصر القاهرة على نفقة المرحوم جمال الدين الوزير البهوفالي " .

وسرد العلامة الحسني رحمه الله قائمة مصنفاته العلمية في ذكر الشيخ المهائمي : . . . " الزوارف في شرح العوارف " ، و " مشرع الخصوص في شرح الفصوص " ، و " استجلاء البصر في الرد على استقصاء النظر " ، لابن المطهر الحلي ، و " النور الأظهر في كشف سر القضاء والقدر " ، وشرحه " الضوء الأزهر في شرح النور الأظهر " ، و " أجلة التأييد في شرح أدلة التوحيد " ، وشرح الفصوص شرحاً لا نظير له ، وصنف في أسرار الفقه ، ومحاسن الشريعة كتاباً سماه " إنعام الملك العلام بإحكام حكم الأحكام " وترجم كتاب " لمعات العراقي " وشرحه وترجم رسالة " جام جهان نما " وشرحها بشرح سماه " آراء الدقائق في شرح مرآة الحقائق " ، وله إمحاض في الرد على طاعن الشيخ الأكبر ، وله رسالة في الفقه الشافعي ، وله غير ذلك من الرسائل . (الإعلام ، ج ٣ ، ص : ٨١) .

قال الشيخ غلام علي بن نوح الحسيني البلكرامي في " سبحة المرجان " : " إن له رسالة عجيبة في تخريج وجوه إعراب قوله تعالى : " الٓمٓ . ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ " . (المصدر نفسه) .

إن الشيخ المَهَائمي قضَى جل حياته في خدمة العلم والدين ونشر الإسلام والشريعة المطهرة وإرشاد الخلق الكثير إلى سواء السبيل لا يأتي عليه الحصر ، وكان من الشخصيات العملاقة العظيمة الذين جمعوا بين العلوم الظاهرة والعلوم الباطنة ، وإنه استمر في القيام بأعمال جليلة وأفعال نبيلة في مجال التعليم والتربية والتصنيف والتأليف ، وكذلك بذل جهوده في سبيل إصلاح المجتمع وتقويم القلوب وتربية النفوس حتى مضى إلى الآخرة يوم الجمعة في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وثمان مأة من الهجرة ، وقبره مشهور في بلدة مهائم (بجوار مدينة بمبائي ، الهند) . رحمه الله رحمة واسعة .

٤٨ / سنةً

في ظلال تربية الإمام العلامة أبي الحسن الندوي

(الحلقة السادسة)

بقلم : سعيد الأعظمي الندوي

تعريب : الأخ معصوم علي الندوي

صحيفة الرائد :

هي جريدة نصف شهرية ، صدرت في شهر يوليو عام تسعة وخمسين وتسع مأة وألف من الميلاد ، نظراً إلى حاجة طلاب دار العلوم الذين كانوا في مراحل النمو ، وكانوا مقبلين على تعلم اللغة العربية وإتقانها كتابة وخطابة ، فكانوا لابد لهم من صحيفة تكون لهم بمنزلة معلّم أو مدرسة تشرف على عملهم الأدبي وعلى مدى تعلمهم هذه اللغة الشريفة وأداء دورها في الحياة والمجتمع .

وقد نشأت فكرتها واسمها في ذهن الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، فذكر أمامي فسُررت بها للغاية ، ووافق عليها الإمام الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي ، ثم وجدنا ترخيصاً رسمياً من الحكومة الهندية لإصدار صحيفة عربية نصف شهرية ، وقد تم إعداد أول نسخة للصحيفة خفية ، وكان المقرئ محمد عليم الدين قد كتبها بخطه العربي الجميل ، وطبعت الصحيفة في مطبعة تنوير بلكناؤ ، وحينما اطلع عليها الآخرون اعتبروها مفاجأة علمية ، وهنأوا الشيخ السيد محمد الرابع الحسني على إصدار هذه الصحيفة .

صدرت صحيفة " الرائد " في ظروف قاسية لم تكن تسمح بتحمل هذه المسئولية الدقيقة للصحافة العربية ، ولكنها كانت في الواقع مدرسة يتعلم فيها أبناؤها بالقراءة والتعبير باللغة العربية ، وكانت تفسح لهم الطريق نحو النادي العربي وبرامجه التي كانت مستمرة أسبوعياً ، وقد تهيأ عدد من الطلاب لكي يتعلموا اللغة العربية عن طريقها ويكتبوا بعض المقالات التي كانت تُنشر في ركن الطلاب ، وفعلاً تخرج من هذه المدرسة كثير من شبابنا المتعلمين الكتابة باللغة العربية ، وكانوا

يتدربون على الصحافة وتذوق اللغة كأبنائها ، كما أن هذه الصحيفة تهتم بنشر الأخبار والأنباء العلمية والأدبية والثقافية التي كان أهل البلدان العربية الإسلامية يطلعون بها على سير التعليم والتربية والاعتناء باللغة العربية وما يجري في هذه البلاد من أوضاع التعليم والتربية والظروف الثقافية والسياسية وما إليها .

أما الأهداف التي سجلت وراء إصدار هذه الصحيفة والأسباب التي كانت تدعو إلى ذلك فلنستوحيها من خلال ما كتبه رئيس تحرير الجريدة الأول في أول عدد صدر في شهر يوليو لعام تسعة وخمسين وتسع مأة وألف الأديب الكبير رئيس قسم اللغة العربية يوم ذاك ، سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء اليوم .

كلمة رئيس التحرير الأول وقت صدورها :

" الحمد لله بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين ، وبعد ! فهذا أول عدد من صحيفة النادي العربي عزمنا على إصدارها لتكون عوناً أدبياً ومساعداً في الملكة الكتابية لأعضاء النادي الأعزة ، وهم كما يعرف الجميع طلبة دارالعلوم التابعة لندوة العلماء ممن يدرسون اللغة العربية وينهلون من مناهل علومها وآدابها الغزيرة .

أصدرناها لا لنفع مادي ولا لمسايرة ركب الحضارة ولا للاستجابة لمطالب الزمن فحسب ، بل إنما لتكون غذاءً للعقول ، ومدداً للأقلام وحافزاً للقرايح في دار علومنا هذه .

ولم يبعثنا على ذلك إلا لأن الصحف والمجلات العربية الصادرة اليوم في أنحاء العالم لا تقضي حاجتنا نحن أبناء دار العلوم الذين لهم رسالة إسلامية رفيعة دقيقة الأهداف ممهدة الأطراف ، وذلك لأن هذه الصحف والمجلات تحمل في ثناياها سموماً فتاكة للناشئة الإسلامية ، وهي بذور الفسق والوقاحة والإلحاد تبذرها في نفوسهم وقلوبهم ، فنرى أن الفائدة العلمية والأدبية التي نؤمل الحصول عليها من بينها تختلط وتمتزج بهذا الضرر المخيف الذي أوضحناه والذي نرى الأمة الإسلامية والناشئة الإسلامية في أشد الحاجة إلى الاتقاء منها ، ولا يمكن بمساعدة هذه الصحف أن نحقق آمالنا من بناء مجتمع إسلامي سليم فاضل .

ومما لا شك فيه أيضاً أن طلبتنا لا يمكن أن يستغنوا عن الصحافة العربية لئلا يتوقف ركب الثقافة والعلم ، فيجب علينا أن نصنع شيئاً لقضاء هذه الحاجة وسد هذا الخلل ففكرنا في ذلك ، فكان نتيجة

تفكيرنا هو هذا الذي نقدمه إلى طلبتنا في صورة هذه الصحيفة العربية مما أنتجته أقلام الكتاب البارعين في العالم العربي ومختاراً مما تنتجه أقلام أعضاء النادي العربي ويقومون بأنفسهم بتحرير الصحيفة ولن يشترك معهم فيه أساتذتهم إلا كمشرفين عليهم أو مساعدين لهم وإلا بكلمة يكتبها في أغلب الأحوال رئيس النادي العربي ، وندعو الله تعالى أن يسدد خطانا ويحقق آمالنا .

ما كنا نتوقع عند إصدار هذه الجريدة أنها تستقبل من الطلاب والعلماء هذا الاستقبال الرائع الذي حصل لهم حين صدورها ، وذلك من فضل الله علينا ونعمته ، فقد كنا خطونا هذه الخطوة متوكلين على الله دون أن نعول على قوة أخرى .

وبعد أن رأينا أن الطلاب والعلماء استحسنوا هذه الخطوة العلمية والثقافية التي خطاها النادي العربي تحت إشراف دارالعلوم التابعة لندوة العلماء ، ورجوا لها نجاحاً باهراً ، أردنا أن نستمر فيما عزمنا عليه من تنويع أبواب الجريدة وتسهيل عباراتها وألفاظها وتحسين أساليبها ومعانيها حتى تنتخب الجريدة إلى القراء أكثر من ذي قبلٍ ، ويعظم نفعها في أوساط مختلفة ، وقد يرى القراء في هذا العدد سمة من ذلك ، فقد أدخلنا في محتويات الجريدة باباً جديداً لطلبة الصفوف السفلى خاصة بعنوان " ركن الأطفال " يشرف عليه أو يكتبه الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي ، ويعتني فيه بتقديم المعاني النافعة في عبارات سهلة وأسلوب سهل مفهوم ، عند المتعلمين البدائيين حتى يستوي جميع الطلبة في الانتفاع بهذه الجريدة والمساهمة فيها ، كما أننا نحافظ على أن يقدم للقراء بعض أقوى الخطب لشخصيات إسلامية كبرى يسجلها أو يعربها الطلبة أنفسهم ، وقد يرى القراء أيضاً أن هذا العدد يتضمن بوجه عام ما كتبته أقلام الطلبة ، وليس فيه لغيرهم إلا القليل والمفيد [1] .

هذا يوم كانت هذه الصحيفة ملكاً شخصياً ، ولكنها سرعان ما تحولت إلى ندوة العلماء التي اتخذتها وسيلةً لعرض النشاط الإسلامي والعربي على البلاد العربية والتعريف بندوة العلماء إلى العرب الذين كانوا لا يعرفون عنها شيئاً ، ومن ثم كان دور هذه الصحيفة في مجال الصحافة العربية في الهند دوراً مشرفاً وموضوعياً ومخلصاً ، وكان سبباً لطول

[1] صحيفة الرائد ، العدد الأول عام تسعة وخمسين وتسع مأة وألف الميلادي .

عمرها واستمراريتها لتحقيق الأهداف التي ذكرناها .

صدرت الرائد في عام ١٩٥٩م ، ولا تزال تصدر مرتين في الشهر بانتظام واستمرارية يرأس تحريرها الآن الأستاذ السيد جعفر مسعود الحسني الندوي ، ويساعده الأستاذ محمد وثيق الندوى، وقد رأس تحريرها الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، وظل الأستاذ السيد عبد الله محمد الحسني الندوي مدير تحريرها إلى مدة ، وكنت مرتبطاً بهذه الصحيفة منذ أول يومها ، أهتم بترتيبها وجمع مقالاتها ، كما أعتني بكتابتها في أحسن خط عربي ، ولا أزال أكتب فيها كلمة الرائد منذ أمد بعيد ، وأنا نائب الرئيس لهذه الصحيفة بحمد الله وتوفيقه .

وقد ساعدنا في هذا العمل طلاب النادي العربي أمثال السيد ضياء الحسن الندوي ، وغلام الجيلاني الندوي وإقبال أحمد الأعظمي الندوي البختاروي وتقي الدين الفردوسي الندوي وشفيق الرحمن الندوي .

خطوة جريئة في مجال الصحافة الأردية :

توترت الأحوال السياسية للبلاد في بداية ١٩٦٠م ، ونشأت الطائفية ، فتفاقم أمرها ، وكانت الظروف تقتضي أن تكون هنا صحيفة أو مجلة للمسلمين وزعمائهم تمثل الأوضاع السياسية للبلاد تمثيلاً جريئاً ، فخطر ببال الشيخ الندوي والشيخ محمد منظور النعماني أن تصدر صحيفة أسبوعية بالأردية ، ثم تتحول هذه الصحيفة إلى يومية ، وتكون هذه الصحيفة ممثلة للمسلمين سياسياً ودينياً ، كما تنشر فيها أخبار العالم الإسلامي وتحليلاتها .

صدرت صحيفة " نداء ملة " في مارس عام ١٩٦٢م أسبوعياً ، تحت رئاسة تحرير الشيخ عتيق الرحمن السنبهلي ومساعدة الدكتور آصف القدوئي ، ولقيت قبولاً عاماً في كل طبقة من طبقات المسلمين، كما مثلت الصحافة الإسلامية ، فصدرت سبع سنوات بكل استمرار ، ولكن وقع ما وقع في أمرها ، بحيث احتجبت ، وتوقف صدورها . ثم أصدرها الطبيب محمد اشتياق حسين القريشي في حياته من جديد ، وساعده في هذا العمل الصحافي نجله الأستاذ جنيد أحمد القريشي الندوي ، لكن لم يستمر صدورها ، واحتجبت مرة ثانية .

كنت أكتب في كل مرحلة من المرحلتين لصحيفة " نداء ملة " حول موضوعات شتى ، وهنا قائمة مختصرة لمقالاتي المنشورة في هذه الصحيفة :

١. الحكام المنصفون

٢. جنيف : نبذة من تاريخها
٣. في سبيل الحرية
٤. امرأة مثالية
٥. ضيف ملكي
٦. أجمل منتزهات العالم
٧. البريد الجوي : قصة وتاريخ

إصدار صحيفة " تعمير حياة " من ندوة العلماء :

صدرت صحيفة تعمير حياة من في جمادى الثانية ١٣٨٣هـ المصادف نوفمبر ١٩٦٣م كلسان حال ندوة العلماء وأهدافها ودعوتها ، وانتخب الأستاذ محمد الحسني أول رئيس تحريرها كما كان كاتب هذه السطور مساعد رئيس التحرير ، ولم يكن في تلك الآونة جهاز كمبيوتر ، فكانت الصحيفة تُنشر بكتابة أحد الخطاطين ، من مطبعة " ليثو " ، استقبلت هذه الصحيفة كل دائرة من دوائر العلم ، واعتبرتها خطوة مباركة ، ولم يكن في بداية الأمر مكتب لها ، فكانت ملفاتها وسجلاتها وبعض وثائقها في ناحية من مكتب مجلة البعث الإسلامي ، ويساعدنا في إرسال الصحيفة قسم التعمير والترقي لندوة العلماء ، واستمر هذا العمل هكذا عشر سنوات ، وكنت موفقاً في ترتيب الصحيفة وكتابة المقالات وكتابة افتتاحياتها أحياناً . فالحمد لله على ذلك حمداً كثيراً .

ومن فضل الله تعالى أن صحيفة تعمير حياة تصدر بكل استمرار ، وبعد عشر سنوات من صدورها عين الأستاذ إسحاق جليس الندوي رئيس تحريرها ، وانتقلت هذه الصحيفة إلى مؤسسة الصحافة والنشر ، لكناؤ ، ثم انتخب الأستاذ شمس الحق الندوي رئيس تحريرها ، وإن كان الأستاذ نذر الحفيظ الندوي والأستاذ أمين الدين شجاع الدين لمدة قصيرة رئيس تحريرها ، ويرأس الآن رئاسة تحريرها الأستاذ شمس الحق الندوي ، وانتخب الأستاذ السيد محمود حسن الحسني الندوي نائب رئيس تحريرها ، ويشرف عليها سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، وينشر في كل عدد جزء من مقالات الإمام الندوي ، وقد أشرف عليها كذلك الشيخ القاضي محمد معين الندوي والشيخ الدكتور عبد الله عباس الندوي ، والبروفيسور وصي أحمد الصديقي والأستاذ محمد حمزة الحسني الندوي – رحمهم الله تعالى – .

إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ

محمد فرمان الندوي

يصلي عليه الله جلَّ جلاله :

شهد العالم الإسلامي في الأيام الأخيرة مظاهرات واحتجاجات على المستوى العالمي ضد بيان صادر من ناطقة باسم حزب هندي خلال حوار إعلامي ، ضد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وأم المؤمنين السيد عائشة رضي الله عنها ، وقد أثار هذا البيان موجة غضب عارمة ، فجرت المقاطعات للبضائع الهندية والمنتوجات الوطنية ، وقد أرسلت بعض الدول الاسلامية قراراً رسمياً إلى الهند ، إدانة بما وُجه إلى ذات الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذي لا تخلو لمحة من لمحات اليوم والليلة ، من مدحه والثناء عليه في الأذان والإقامة وفي الصلاة ، وقد صلى عليه الله وملائكته ، وأُمر المؤمنو ن بالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ، يقول أحد الشعراء :

يصلي عليه الله جلَّ جلاله بهذا بدا للعالمين كماله

مثل هذه الإساءات إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ليست أمراً مستحدثاً ، وبدعاً من الأمر ، وليس وليد اليوم ولا بنت الأمس ، وهي تتكرر بعد كل سنوات ، ولم يكن وراء ذلك إلا أن الهلع والخوف ، والحسد والبغض قد استولى على المسيئين إلى ذات الرسول صلى الله عليه وسلم الذي طبق ذكره الخافقين ، فهم يتظاهرون بمثل هذه التُرَّهات حيناً لآخر ، وقد وصلت جذور ذلك إلى خير القرون أيضاً ، حيث كانت هناك شرذمة من الناس ، يسيئون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويهينون حرمته وكرامته ، فيدافع شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم عن عرضه وحرمته ، ويلجمون أفواه المسيئين بأبياتهم الشعرية ، فشعراء الرسول صلى الله عليه وسلم بذلوا كل غال ونفيس في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه وهو يخاطب أبا سفيان :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمداً براً تقياً رسول الله شيمته الوفاء

فـإن أبـي ووالده وعـرضـي لعرض محمد منكم وقاء

مزق الله ملكه وسلطانه :

وإذا دققنا النظر في تاريخ الأنبياء والرسل عرفنا أنه كلما قام نبي أو رسول في مجتمع يدعو إلى الخير ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر اجتمع الناس حوله ، وبدأوا يؤامرون ضده ، واتهموه باتهامات كاذبة مزوَّرة ، حتى هددوه بإجلائه من وطنه ، وكان الوحي ينزل على الأنبياء ، وكان الله يرى سوء التعامل مع أحب العباد إليه ، فينزل عذاباً أليماً في الدنيا على هؤلاء العصاة المجرمين نكالاً للآخرين .

وقد سجل التاريخ أن نمرود من أكبر ملوك العالم الذي كان في زمن إبراهيم عليه السلام ، وهو الذي حاجّ إبراهيم في ربه ، وأجج له النار ، وأدخله فيها ، لكن الله جعل النار لإبراهيم برداً وسلاماً ، وكيف كانت عاقبة نمرود ، يتحدث عن ذلك ابن كثير رحمه الله في قصص الأنبياء (طبع دار المنصورة ، مصر ١٩٩٧م) : " قال زيد بن أسلم : وبعث الله إلى ذلك الملك الجبار ، ملكاً يأمره بالإيمان بالله ، فأبى عليه ، ثم دعا الثانية ، فأبى عليه ، ثم دعا الثالثة فأبى ، وقال : اجمع جموعك وأجمع جموعي ، فجمع النمرود جيشه ، وجنوده ، وقت طلوع الشمس ، فأرسل الله عليه ذباباً من البعوض ، بحيث لم يروا عين الشمس ، سلطها عليهم فأكلت لحومهم ودمائهم وتركتهم عظاماً بادية " . (ص : ١٧٩) ، وقصة سيدنا موسى مع فرعون مذكورة في القرآن الكريم بكل تفصيل ، أساء فرعون إلى موسى إساءة كثيرة ، جمع السحرة ليهزموه على رؤوس الأشهاد ، لكن الله قلّب الأمر ظهراً لبطن ، وفي نهاية المطاف تبع فرعون مع جنوده موسى وبني إسرائيل ، وكاد أن يمزقهم شر تمزيق ، لكن الله نبذه وجنوده في اليم ، وكان من الهالكين . وقد جاء في السيرة النبوية أن الصحابي عبد الله بن حذافة السهمي حمل رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ملك الفرس ، فلما قرأها صاح بأن محمداً صلى الله عليه وسلم بدأ بنفسه : من محمد رسول الله إلى كسرى ملك الفرس ، ثم مزَّق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه ، فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر شعر بألم ووجع بالغين قائلاً : مزق الله ملكه ، ولم يكتف هذا الملك البذيئ بهذا ، بل أرسل رجلين لأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلال هذه الوقفة الوجيزة قامت ثورة كبيرة ضد الملك ،

فقتله ابنه شيرويه ، هكذا كانت عاقبة الإساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

انتصار لحرمة المصطفى صلى الله عليه وسلم :

فالإساءة إلى الأنبياء والرسل ، والإساءة إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم في أي زمن كان ، سببت إلى نتائج سيئة للمسئين والمسيئات إليه ، إما بالعذاب من الله تعالى مباشرة أو كان ذلك مبعث ندامة وخزي له في الدنيا ، وإذا كانت هناك حكومة إسلامية على أساس الكتاب والسنة ، وكان هناك نظام القضاة الإسلاميين ، فكل من ارتكب هذه الجريمة النكراء من مسلم أو كافر ، وجب قتله من قبل الحكومة ، وقد أجمع على ذلك جميع أهل العلم (الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم : ٣ ، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، طبع عام ٩٨٣م) ، وقد كان في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه مغنيتان : غنت إحداهما في هجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، وغنت أخراهما في هجاء المسلمين ، فأصدر سيدنا أبو بكر رضي الله عنه قرارين بمعاقبة مغنية النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالعفو عن مغنية قامت بهجو المسلمين ، فالإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليس أمراً هيناً ، لأنه أساس الدين وشريعة الله الغراء ، فإذا انتقص من عرضه تهدَّم بناء الدين ، لكن كل ذلك تحت ظلال حكومة إسلامية ، لا ينبغي لأحد من المسلمين أن يقوم بمثل هذه العملية ، وقد نهى الإسلام عن ذلك نهياً باتاً ، فإذا كانت هناك دول ذات جمهورية ، وليست فيها قوانين رادعة فلا بد لهذه الحكومات أن تسن قوانين شديدة لمثل هذه الإساءات إلى الشخصيات والرموز الدينية ، وقد أثبتت الدراسات أن دستور الهند لا توجد فيه مادة تفرض الحظر بكل شدة على هذه العملية ، مثل أمريكا والدول الأخرى ، فتتكرر أمثال هذه الإساءات والإهانات في هذا البلد ، ولو كان الأمر بالعكس لما أقدم أحد على هذه الجراءة الوقحة ، وعاش الناس من مختلف الفئات والديانات في هدوء وراحة .

لن يضرنا كيدهم شيئاً :

التساؤل البذيئ الذي وُجه إلى ذات الرسول صلى الله عليه وسلم هو أنه تزوج لمتعة جنسية – العياذ بالله – ، هذا ما ردده المستشرقون من قبل ، وسودوا فيها مآت من الصفحات ، لكن لم يضر كيدهم هذا نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان ولا يزال كالشمس

الساطعة في رابعة النهار ، وقد عيَّره الأعداء في فجر التاريخ بأن ذريته بتراء لا تستمر إلى مدة مديدة ، لكن الواقع كذب هذا الزعم الخاطئ ، فإن ذريته من بناته الطاهرات قد جرت سلسلتها وتبقى إلى يوم القيامة ، كما أن عدد أتباعه وأنصاره الذين يؤمنون به لا يزال يتزايد ، وقد بلغ إلى ما يقارب مليارين ، فليس شأن محمد أبتر ، بل إن شانئه هو الأبتر والأخدج .

أما تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم فكان ذلك لأسباب دينية ، إنه تزوج في بداية عمره أم المؤمنين السيد خديجة بنت خويلد البالغة من عمرها ٤٠/ عاماً ، وكان عمره صلى الله عليه وسلم ٢٥/ عاماً ، فلو كانت غاية النبي صلى الله عليه وسلم التكالب على زينة الدنيا لتزوج بكراً ، لا ثيباً ، وكان أكثر أزواجه ثيبات لا أبكاراً ، تزوج من زينب بنت جحش لإبطال عادة التبني ، وتزوج من سودة بن زمعة تعويضاً عن زوجها بعد رجوعها من هجرة الحبشة الثانية ، وتزوج من أم سلمة تعزية بفقد زوجها ، وتزوج من أم حبيبة تأليفاً لقلوب قومها ، وإدخالهم في الإسلام ، وتزوج من زينب بنت خزيمة الملقبة بأم المساكين تعويضاً عن زوجها عبد الله بن جحش الذي قُتل في أحد ، وتزوج من عائشة وحفصة لإكرام صاحبيه ووزيريه ، ولم يكن زواج عائشة رضي الله عنها في السنة السادسة من عمرها ، والبناء عليها في السنة التاسعة عيباً لها ، فإن هذا العمر كان صالحاً في ذلك الزمان للزوج وعقد القران ، لأن هذه المناطق قد تبلغ فيها البنت إلى عمر الزواج ، فلم يكن عمرها تسعة عشر كما يقول بعض المؤرخين ، الراجح هو الأصل ، ولا مانع فيه .

إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ :

هذه التساؤلات التي تُثار حيناً لآخر من قبل مناوئي الإسلام تطالب منا بأن نكون على بصيرة تامة من رودوها وأجوبتها ، ونطالع السيرة النبوية على صاحبها ألف ألف تحية وسلام بكل جدية وإتقان ، ونعقد برامج ومسابقات لتعليم الجديد الناشئ أمثال هذه المعلومات الدينية ، وننشر كتيبات ورسائل على شتى المستويات حتى تقل نسبة سوء التفاهم ، وتخيب محاولات المتسائلين المزورين ، قال تعالى : (إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِئِينَ . ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ . وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِّنَ ٱلسَّاجِدِينَ . وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ) (الحجر : ٩٥ – ٩٩) .

(١) رحلة تعليمية وإصلاحية إلى ولاية مهاراشتر (الهند)

مدير التحرير

[وجه إلينا فضيلة الشيخ عمرين محفوظ الرحماني ، مدير الجامعة الإسلامية المعروفة بمعهد الملة في مدينة ماليغاؤن بولاية مهاراشتر ، وذلك للحضور في جلسات الجامعة ومناسباتها العلمية التي كانت تترقب العقد بمناسبة علمية ودينية طيبة ، وقد عقدت هناك مناسبات علمية وتعليمية بعثت في سكان هذه المدينة والمسلمين روحاً صادقةً للتدرج إلى منازل عالية من العلم والدين ، حتى يتمكن المسلمون أن يمثلوا روح الصدق والعلاقة الأمينة الصادقة مع الله تعالى وشعوب الأمة الإسلامية .

وقد كانت إقامتنا نحن الثلاثة (سعيد الأعظمي ، عبد الله المخدومي والأستاذ محمد فرمان الندوي) في هذه البلدة المسلمة مبعث أمل صادق في قلوب أهلها وضيوفها الذين رأوا دوافع من الحب الإيماني والشوق التعليمي في أهل هذه البلدة قد ملأت قلوبهم بالسرور والطمأنينة ، ومن خلال ذلك كانت الرحلة ناجحةً وباعثةً على أمل العودة إلى الإسلام الصحيح .

وقد أسهم في برامج هذه الجامعة الإسلامية خلال يومين كل من الحاضرين الجدد الذين رأوا أن هذه الرحلة كانت مبعث روح من العلم والإيمان والعمل .

ونحن إذ نشكر مضيفنا الكريم فضيلة الشيخ عمرين محفوظ الرحماني على هذه الدعوة الكريمة للاستفادة العلمية ، نشكر جميع المسئولين عنها ونرجو أن يتسع طريق التبادل العلمي والثقافي في المستقبل في مناسبات علمية ودعوية كريمة بمشيئة الله تبارك وتعالى ، والله الهادي إلى طريق الحق والصواب من جميع الجهات ، وهو على كل شيئ قدير .

وقد مررنا في الطريق بمدارس إسلامية ومراكز تعليمية عديدة ، فكانت زيارتنا مبعث خير واطلاع على مراكز العلم والدين وعلى الدوافع الصادقة في أهلها بنشر العلم والدين ، وإعادة الثقة إلى الناس بأن تعاليم الدين الإسلامي من الكتاب والسنة لهي المرجع الحقيقي للناس بل للعالم أجمع نحو الأمن والسلام والعزة والاحترام ولتمثيل تعاليم الدين بين العالمين كلهم ، وكل ما عدا ذلك فليس فيه ما يدعو إلى سعادة الحياة والإنسان والعالم بكامله ، إنما هو الدين الإلهي والطريق السماوي الذي يحتوي على ذلك كتاب الله المعجز الأخير ، ويبشر المؤمنين بجنات ونعيم في

الآخرة ، يقول الله تعالى : " وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " . قلم التحرير]

قام سعادة أستاذنا الدكتور الشيخ سعيد الأعظمي الندوي (مدير دار العلوم لندوة العلماء ، ورئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي) برحلة تعليمية وإصلاحية إلى بعض مناطق ولاية مهاراشتر (الهند) ، وذلك في ٢٤ – ٢٥ ذي القعدة ١٤٤٣هـ ، المصادف ٢٥ – ٢٦ يونيو ٢٠٢٢م ، وقد رافقه في هذه الرحلة كاتب هذه السطور والأخ العزيز محمد عبد الله المخدومي الندوي .

دعوة أخوية كريمة :

وُجهت الدعوة إلى أستاذنا الجليل بغاية من الحب والتقدير من قبل فضيلة الأستاذ محمد عمرين محفوظ الرحماني (سكرتير هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند ، ومدير معهد الملة بماليغاؤں) لإرساء الحجر الأساسي لمسجد هداية الإسلام ومركز التربية الرحماني في مدينة ماليغاؤں بولاية مهاراشترا (الهند) ، وقد وافق على هذه الدعوة سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء (أطال الله بقاءه ذخراً للإسلام والمسلمين) .

بداية الرحلة :

بدأت الرحلة صباح يوم الجمعة في ٢٤/ ذي القعدة ١٤٤٣هـ من مطار لكناؤ مروراً بمطار دهلي الدولي إلى مطار شري ديه بمهاراشتر ، حيث وصلنا إليه قبيل صلاة الجمعة ، وقد استقبلنا على مطار شري ديه فضيلة الأستاذ محمد عمرين محفوظ الرحماني ، والمفتي محمد رضوان المظاهري والأستاذ محمد يوسف الندوي وغيرهم من العلماء ، ثم قصدنا لأداء صلاة الجمعة في أحد مساجد شري رام فور بمديرية أحمد نغر ، حيث نزلنا في منزل المفتي محمد رضوان المظاهري ، وقد وفّر لنا جميع التسهيلات اللازمة للسكن وإراحة الضيوف ، فصلينا صلاة الجمعة ، وكلفتُ أنا لإلقاء كلمة دينية قبل صلاة الجمعة وخطبة الجمعة والإمامة في الصلاة ، فتحدثت عن رسالة يوم الجمعة في ضوء الكتاب والسنة ، وما وفقني الله تعالى لإلقائه بهذه المناسبة . وكان غداؤنا في منزل المفتي محمد رضوان ، ففرغنا من الغداء ، واسترحنا قليلاً ، ثم صلينا صلاة العصر ، وقد زارنا وفد وجيه من مدينة أورنغ آباد ، حيث تقع فيها مدرسة كاشف العلوم وهي من ملحقات ندوة العلماء ، وكان الوفد مكونا من الأستاذ عبد الوحيد الحليمي مدير كاشف العلوم ، والأستاذ الدكتور

صدر الحسن الندوي ، والأستاذ الشيخ عليم الدين الندوي ، والأستاذ محمد نعيم المفتاحي وغيرهم ، وعُقد بالمناسبة مجلس قرآني تلا فيه آيات من القرآن الكريم الأخ العزيز المفتي محمد أنصار الندوي (إمام وخطيب بمسجد مدينة فونا) .

في مدينة شري رامفور :

كان من المقرر أن يكون بعد صلاة العصر برنامج عام لإرساء حجر الأساس لجامعة الحديبية للبنات ، فشرف سعادة أستاذنا مكان الجامعة بقدومه مع الوفد ، وأرسى حجر الأساس ، وذلك في مدينة شري رامفور ، وهي مدينة الأخ العزيز عبد الله المخدومي الندوي ، وتدير هذه الجامعة أخته الكبرى بارك الله في حياتها ونفع بها ، وألقى كلمة تشتمل على أهمية التعليم الديني في المجتمع النسوي ، قال فيها : إن النساء شقائق الرجال ، وهن في الواقع مجتمع كامل ، فتعليم الرجل تعليم فردٍ واحد ، لكن تعليم المرأة تعليم مجتمع بكامله ، كما ألقيتُ أنا كلمة عن غذاء الجسد والروح ، فغذاء الجسد يهتم به كل إنسان كل حين وآن ، لكن غذاء الروح يتوافر من خلال هذه المدراس والجامعات الدينية ، كثر الله من أمثالها ، وانتهى الحفل بالدعاء ، ومعلوم أن جامعة الحديبية كانت ولا تزال تنشط منذ عشر سنوات ، في مبنى مستأجر ، وقد تم بفضل الله وكرمه شراء أراض واسعة ، وبدأ عمل البناء والتعمير فيها ، يسّر الله تعالى هذا العمل بعونه وكرمه في أقرب وقت ، وقد مررنا بمدرسة مدينة العلوم بشري رامفور التي أنشأها الشيخ مخدوم حسين رحمه الله والد الأخ عبد الله المخدومي الندوي ، ويديرها الأستاذ إرشاد الله القاسمي .

في معهد الملة بماليغاؤن :

خرجنا صباح ٢٥/ ذي القعدة ١٤٤٣هـ ، من شري رامفور إلى مدينة ماليغاؤن ، حيث يقع معهد الملة ، الجامعة التعليمية الدينية ، التي أنشأها الشيخ الأديب عبد الحميد النعماني أحد العلماء الكبار في الهند في عام ١٩٥٣م ، وقد خرجت الجامعة عدداً كبيراً من العلماء والحفاظ ، وهم يخدمون الإسلام في شتى بقاع الهند ، ويرأس الجامعة الآن الشيخ عبد الأحد الأزهري ، وانتُخب لها كمدير جديد الأستاذ محمد عمرين محفوظ الرحماني ، وهو من خريجي هذه الجامعة عام ٢٠٠٥م ، وله نشاطات دينية ملموسة .

عُقد في معهد الملة مؤتمر تعليمي وتربوي في هذا اليوم ، لكن

وصلنا إلى المؤتمر بتأخير ، فكانت فيه كلمة رئاسية لسعادة أستاذنا الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي ، إنه فور ما وصل إلى المعهد شرَّف المؤتمر بكلمته قال فيها : الإخلاص هو مصدر كل خير وبركة ، ومنبع كل سعادة ورحمة ، فالمخلصون هم عباد الرحمن الذين وضع الله لهم القبول في الأرض ، وكل عمل بدون الإخلاص يكون هباءً منثوراً ، ولا قيمة له مقدار ذرة ، وأضاف الشيخ قائلاً : العلم يستمر ويبقى بالعمل ، وإلا يرتحل من ذهن الإنسان ، وهناك رجال يعلمون ، لكن لا يعملون ، وقد نهى الله تعالى هذا العمل في القرآن الكريم فقال : كَبُرَ مَقتاً عندَ ٱللَّه أَن تَقولُوا مَا لاَ تَفعَلُونَ ، وقال الشيخ : أنا أكثر احتياجاً إلى العمل بدلاً من أن أقول للآخرين ، يقول الشاعر العربي :

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وكانت لي كلمة في المؤتمر حول أهمية اللغة العربية وطرق تعلمها ، لكن ما تمكنت من إلقائها لضيق الوقت ، وقد أجاز أستاذنا على طلب من الأستاذ محمد عمرين محفوظ الرحماني ، جميع من حضر من العلماء والطلاب برواية الحديث النبوي الشريف من جميع أسانيده ومروياته ، كما كان هناك أيضاً بعد صلاة العصر مجلس قرآني في دار الضيافة لمعهد الملة حيث نزلنا فيه ، حضره الضيوف وأساتذة وطلبة المعهد ، قرأ آيات من القرآن الكريم أمام الحفل قراء معهد الملة وحفاظه بالقراءات العشرة ، وهم المقرئ شهزاد أحمد ، والمقرئ محمد عمران ، والمقرئ زبير أحمد العثماني ، والمقرئ محمد سعد ، والمقرئ محمد عمرين محفوظ الرحماني ، بارك الله في حياتهم ، ونفع بهم .

وبعد صلاة المغرب تم إرساء حجر الأساس لمسجد هداية الإسلام ومركز التربية الرحماني بمنطقة بسم الله باغ ، ماليغاؤن ، بيد سعادة أستاذنا الجليل حفظه الله تعالى ، كما تم إنشاء مسجد باسم والد الأستاذ محمد عمرين محفوظ الرحماني ، وهو الشيخ محفوظ الرحمن القاسمي رحمه الله (شيخ الحديث بمدرسة بيت العلوم ماليغاؤن سابقاً) ، وبالمناسبة عُقد اجتماع ديني كبير حضره العلماء من مختلف مناطق ولاية مهاراشتر ، وعدد كبير من نساء مدينة ماليغاؤن ، وذلك بعد صلاة المغرب في " حبيب لانس " ، ألقى في هذا الاجتماع سعادة أستاذنا كلمة ضافية قال فيها : المساجد بيوت الله ، وهي خير بقاع الأرض ، وقد جعلها

الله تعالى من شعائر الإسلام ، فكان بناؤها وتعظيمها عملاً جليلاً ، ومباركاً للمسلمين ، وأول بيت وضع على الأرض هو الكعبة المقدسة ، ثم تفرعت منها المساجد في شتى بقاع الأرض ، وقد هنأ الشيخ (أطال الله بقاءه) الأستاذ محمد عمرين محفوظ الرحماني على اهتمامه بإنشاء المسجد ، ومركز التربية الرحماني ، وهو دليل على علمه وعمله وتقواه ، بقوله صلى الله عليه وسلم : إذا رأيتم الرجل يعتاد إلى المسجد فاشهدوا له بالإيمان (رواه الترمذي) .

وكانت لي كلمة حول مكانة العلماء ، وكيفية الاستفادة منهم ، فتكلمت حول الموضوع مستشهداً بالكتاب والسنة ، ولا شك أن العلماء مثل النجوم في السماء يهتدي بهم في ظلمات البر والبحر ، وقد خلق الله النجوم لثلاث غايات : زينة السماء ، رجوماً للشياطين ، والاهتداء إليها في رحلة البحر ، فجعل الله تعالى العلماء زينة الأرض ، ورجماً للباطل ، وهداية للناس أجمعين .

وقد خطب الأستاذ محمد محفوظ عمرين الرحماني خطبةً قويةً مؤثرةً ، كان لها صدى في نفوس السامعين ، وقد ظهرت ملامحها على وجوههم ، ركز في الخطبة على جوانب من العلم والعمل ، وتزكية النفوس ، وتطهير القلوب ، كما لفت عناية الناس إلى بناء المساجد ومراكز التربية الروحية ، وأدار الاجتماع الأستاذ المفتي محمد حسنين محفوظ النعماني قاضي دار القضاء بولاية مهاراشتر ، وأستاذ الحديث بمعهد الملة .

حضر الاجتماع كثير من العلماء أمثال الشيخ محمد إدريس عقيل الملي القاسمي ، والشيخ سعيد أحمد الملي ، والشيخ حامد ظفر الندوي ، والأستاذ جمال عارف الندوي ، والأستاذ محمد إدريس الندوي ، والأستاذ آصف الملي الندوي ، والأستاذ عبد الرحمن الملي الندوي (رئيس تحرير مجلة النور بأكل كوا) ، والجدير بالذكر أن مدينة ماليغاؤن توجد فيها مدارس دينية كثيرة ، منها جامعة أبي القاسم ، وجامعة الشيخ أبي الحسن الندوي ، وهما ملحقتان بندوة العلماء ، يدرس فيها عدد وجيه من الطلبة ، ولا يزالون يأتون إلى ندوة العلماء لإكمال دراستهم ، وينالون منها شهادات التخرج في العلوم الإسلامية .

غادرنا مدينة ماليغاؤن في الساعة التاسعة صباحاً من ٢٦/ ذي القعدة ، ووصلنا إلى مطار شري ديه ، ومن هنا إلى دهلي ثم إلى لكناؤ ، واستقبلنا على مطار لكناؤ الأستاذ الدكتور عطاء الرحمن الأعظمي الندوي والأستاذ عبيد الرحمن الأعظمي ، بارك الله في حياتهما ونفع بهما .

(٢) نشاطات علمية وثقافية في رحاب ندوة العلماء

إعداد : الأخ عمر محمد غزالي *

النادي العربي :

عقد النادي العربي لدارالعلوم التابعة لندوة العلماء حفلته الافتتاحية برئاسة سماحة العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي (رئيس ندوة العلماء) – أطال الله بقاءه – في جامع ندوة العلماء لكناؤ ، افتتحت الحفلة بتلاوة آيٍ من الكتاب العزيز ، ثم قدم عمر محمد غزالي مقالته الافتتاحية معرفاً بندوة العلماء ولجان النادي العربي ومعلناً بقائمة المسئولين لها ، ثم خطب رئيس الحفلة – أطال الله بقاءه – خطبةً توجيهيةً قيمةً حول أهمية اللغة العربية وكيفية تعلمها ، وأخيراً زوّد مدير دارالعلوم لندوة العلماء سعادة الدكتور سعيد الأعظمي الندوي – حفظه الله ورعاه – الطلاب بنصائحه القيمة موصياً إياهم بالالتزام بتوجيهات سماحة الرئيس ، وانتهت الحفلة بدعاء سماحة الرئيس أطال الله بقائه .

وإليكم خطبة رئيس الحفلة بإيجاز معربةً :

" إن أهمية اللغة أمر بديهي لا ينكرها أحد ، فبها فضّل الله الإنسان على جميع خلقه ، ولولاها لما بان الإنسان من الحيوان ، فالحاجة إلى اللغة في سائر شئون الحياة بينة غير مستورة ، وباللغة يمكننا أن نجعل حياتنا مزدهرةً ومثمرةً .

إن الله تعالى جعل لكل لغة أجلاً مسمى ، فبعد مأة أو مأتي عام انقضى عمر كل لغة وتعرضت إما للاختفاء والانقراض ، وإما للتحريف والتغير ، ومست الحاجة بعدها إلى استخدام لغة جديدة ، أما اللغة العربية فإن الله تعالى خلّدها بكتابه العظيم ، فتبقى اللغة العربية مع القرآن حيةً خالدةً إلى يوم القيامة ، فلا تجدون في التاريخ البشري أي لغة بمثل هذا الخلود .

فاللغة العربية من نعم الله العظيمة التي أتحفنا بها بواسطة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والكريم ، فلا بد لنا من أن نكون على صلة قوية بلغة القرآن ونستفيد من القرآن الكريم ، فبذلك نكون إنساناً كاملاً ، وبدون ذلك لن يبق فرق بيننا وبين البهائم .

إن لكل لغة ثلاثة جوانب وأوجه ، أولها : النطق ، ثانيها : الفهم ،

* الأمين العام الجديد للنادي العربي بدار العلوم لندوة العلماء .

وثالثها : الكتابة ، فحيث فات أحد هذه الجوانب الثلاثة تبقى الكفاءات اللغوية ناقصة ، فمن أراد أن يتقن لغة فليجمع بين هذه الجوانب كلها ، بدون ذلك لا يعتبر عالماً بتلك اللغة .

كان من معايب الأوساط الدينية والتعليمية في الهند ونقايصها أنها لم تعتن في مناهجها الدراسية أي عناية بنشر اللغة العربية ، وقبل ستين أو سبعين سنة ارتحلتُ إلى البلدان العربية فوجدت علماء الهند الذين كانوا يذهبون إليها حاجين ومعتمرين لا يستطيعون أن يتكلموا باللغة العربية وكانوا عالمين بالأدب العربي ، ولكن لعدم علمهم بلغة الحوار والتكلم وألفاظها وكيفية استخدامها أصبحوا غير قادرين على التعبير والأداء رغم الحاجة الشديدة بهم إلى ذلك ، فربما يحتاجون إلى مترجم ، وبفضل الله ومنته قد تغيرت الأحوال الآن بعدما اعتنى علماء الهند بجانب النطق ، وإن ندوة العلماء هي أول حركة صرفت عناية أهل الهند إلى أن يهتموا كل الاهتمام بالحصول على اللغة العربية من كل وجه ، ويتعلموها بجوانبها الثلاثة لنستفيد من اللغة العربية أتم استفادة ، فمن تعلم العربية جنى فائدتين جليلتين ، أولاهما : هو تمكن من استخدام لغة راقية متقدمة متداولة في كثير من البلدان ، فإتقان اللغات الأجنبية من سمات الناجحين ، ومع ذلك هي لغة باقية منذ ألف وخمس مأة سنة وستبقى إلى يوم القيامة ، وثانيتهما : إنها أحب اللغات إلى الله سبحانه وتعالى التي اختارها لتكون لغة كتابه العزيز وسنة حبيبه صلى الله عليه وسلم ، فمن حصل عليها أخذ أوفر حظ من فهم الكتاب والسنة ، فإن هذا لشرف عظيم ، وجهل العربية خسارة كبيرة .

فحملت ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها لواء إتقان اللغة العربية فهماً ونطقاً وكتابةً ، وقد حققت النجاح في أسرع وقت في هذا المجال ، وإن قسم الدار الذي يقوم هنا بتأهيل الطلاب فهماً ونطقاً وكتابةً وصقل مواهبهم اللغوية ويوفر لهم فرص الممارسة والتمرن هو النادي العربي الذي يساهم في نشاطاته — والحمد لله — جميع طلاب دارالعلوم لندوة العلماء ، والذين لا يساهمون فيها يلحقون بأنفسهم خسارة فادحة ، فإنهم لا يقدرون على التكلم والكتابة بالعربية وحتى لا يستطيعون فهم العربية حينما تمس الحاجة بهم إلى ذلك .

فأيها الإخوان !

أدركوا أهمية النادي العربي ، إنه مهّد الطريق إلى إتقان العربية ، وإن لم تستفيدوا من النادي العربي و لم تتمكنوا من الفهم والنطق والحوار على الرغم من

توافر الفرص وكثرة الوسائل التي هيأتها لكم دار العلوم فسيكون هـذا الحرمـان مؤسفاً للغاية ومبعثاً للقلق البالغ ، فاستفيدوا من منهج دار العلـوم واسـتغلوا وسائلها وانتهزوا فرصها ، وتمرنوا على الجوانب الثلاثـة للغـة العربيـة ، وإلا فستنقصكم اللغة ، واعلموا أن الفهم والنطق والكتابة لا تحصل لأحد بالاختراع ، إنها تُكسب بالجهود والممارسة والاستماع إلى اللغة ، وقبل كل شيئ اعرفوا قدر اللغة العربية وما له من عظمة وبركات ، فمما يثير الأسف الشديد أن الطـلاب يشتغلون بتعلمها بدون معرفة مكانتها .

أدعو الله تعالى أن يوفقنا بالعمل ، آمين " .

جمعية الإصلاح المركزية :

أفاد الأخ سعد بن عبدالرقيب (عضو جمعية الإصلاح) بأن جمعية الإصـلاح المركزيـة لـدار العلـوم التابعـة لنـدوة العلمـاء عقـدت حفلتهـا الافتتاحية في قاعتها التاريخية العريقة التي تسمى بـ " القاعة الجمالية " برئاسة سعادة الدكتور الشيخ سعيد الأعظمي الندوي (رئيس جمعية الإصلاح ومدير الدار) ، وقد قام بتعريف الجمعية الأخ سعد بن سعيد (الأمين العام الجديد للجمعية) أمام الحضور ، وقال سعادة الدكتور حفظه الله ورعاه في كلمته الرئاسية : " إن جمعية الإصلاح لها أهمية بالغة ومنفعة فائقة ، فعلى الطلاب أن لا يدخروا وسعاً في الاستفادة منها " .

وأضاف قائلاً : " لا بد لكم من أن تحملوا الروح الإسلامية التي عرف بها أبناء هذه الدار القدامى " .

وقد حضر الحفلة الأستاذ السيد بلال عبدالحي الحسني الندوي ، وألقى كلمة بالموضوع .

لجنة الإصلاح برواق معهد القرآن الكريم :

قال سعادة الدكتور سعيد الأعظمي الندوي حفظه الله ورعاه (مدير دار العلوم لندوة العلماء) في كلمته الرئاسية التي ألقاها في الحفلة الافتتاحية للجنة الإصلاح برواق معهد القرآن : " إن أعظم ما أنعم الله به على عباده هو العلم ، فلا يمتاز الإنسان عن غيره من الخلق ، ولا يميز بين الخير والشر إلا به ، فالعلم هو ذروة الفضائل كلها ، إلا أنه لا بد أن يكون العلم متسماً بالنفع والإثمار حتى يحدث ثورة هائلة في حياة الإنسان ويجعله نموذجاً لغيره في المجتمع " .

وأكد سعادته على ضرورة العناية بالأهداف فقال : " إن منهج

التعليم والتربية يجب أن يكون حاملاً لروح الغايات المنشودة العالية وهادفاً إلى مطامح سامية ، فبدون ذلك لا يُجدي أي نفع ولا يكون له أثر ما " .

وأضاف قائلاً : " هناك في دارالعلوم لندوة العلماء قسم مختص بتربية الطلاب بالإضافة إلى النظام الدراسي الذي يجري في الصفوف ، وهذا القسم هو الذي يسمى بجمعية الإصلاح التي تؤهل الطلاب كتابةً وخطابةً وتحسن حياتهم الثقافية ، فجمعيات الإصلاح تقوم بنشاطاتها وتلعب دورها في تربية الطلاب في كل رواق من أروقة دار العلوم بصفة مستقلة ، ومنها جمعية الإصلاح لرواق معهد القرآن " . وألقى بالمناسبة محمد إرشاد (أمين اللجنة) مقالته التي احتوت على تعريف وجيز بالدار وأغراض جمعية الإصلاح .

لجنة الإصلاح برواق أبي الحسن :

عقدت لجنة الإصلاح لرواق العلامة السيد أبي الحسن علي الندوي حفلتها الافتتاحية برئاسة سعادة مدير دارالعلوم الدكتور سعيد الأعظمي الندوي حفظه الله ، في بداية الحفلة تلا الأخ عبدالله أواب عدة آي من الكتاب العزيز ، وألقى أمين اللجنة الأخ محمد مرغوب الرحمن خطبته الافتتاحية مسلطاً الضوء على خلفية تأسيس ندوة العلماء ، كما بيّن الأغراض من إنشاء اللجنة ، وكذلك أعلن بقائمة مسئولي اللجنة .

وأخيراً ذكّر سعادة الدكتور سعيد الأعظمي – حفظه الله – الطلاب بأهمية اللجنة قائلاً : " إن الجمعية خير منصة لكم حيث توفر لكم فرص التمرن على الكتابة والخطابة واكتساب خبرة الإدارة والتنسيق " .

وأضاف قائلاً : " إن جمعية الإصلاح تعتبر من ميزات دار العلوم لندوة العلماء وسماتها ، فطلابها كما يستفيدون من النظام الدراسي لدار العلوم كذلك يتحلون بقوة البيان وروعة الأسلوب ومهارة الأداء بالمساهمة في نشاطاتها ، وإن الجمعية تمكنكم من مواجهة تحديات العصر ومقاومة الفتن الحديثة وتستثير هممكم وتتيح لكم فرصاً لتستغلوا أحدث الوسائل وأثمرها ، متسلحين بعلم عميق ومعارف راسخة ودراسة مستفيضة ، وإن الجمعية كما تقوم بصقل المواهب الفردية كذلك تصرف عنايتها إلى ازدهار الإنسانية وتنمية البلاد وتطويرها من كل جهة " .

لجنة الإصلاح للرواق السليماني :

عقدت لجنة الإصلاح للرواق السليماني حفلتها الافتتاحية برئاسة سعادة الدكتور سعيد الأعظمي الندوي (مدير دار العلوم) أطال الله بقاءه ، بعد تلاوة آي من الكتاب الحكيم وتغنية أنشودة ندوة العلماء ، ثم قدم الأخ محمد عبيدة (أمين لجنة الإصلاح) مقالته حول الأهداف الرئيسية لتأسيس ندوة العلماء .

ثم ألقى سعادة الرئيس حفظه الله خطبته البليغة الجامعة ، ولفت انتباه الطلاب إلى أهمية الجمعية قائلاً : " إن هذه الجمعية خير مصنع لبناء الشخصية ، فالمواظبة على المساهمة في نشاطات الجمعية تجعل المساهمين من المتقدمين في كل مجالات الحياة فيسبقون غيرهم ، ولا تشيهم الدهشة والتلعثم عن أن يعبروا عما بضمائرهم ويقدموا أفكارهم وآراءهم إلى الإنسانية " .

النادي العربي لمعهد دار العلوم :

بدأ المعهد الثانوي لدار العلوم لندوة العلماء بمنطقة سكروري على شارع هردوئ نشاطاته الثقافية لهذا العام الدراسي الجاري ، من جمعية الإصلاح والنادي العربي ، وقد شرف حفلة النادي العربي الافتتاحية سعادة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي بقدومه الميمون ، وألقى كلمة رئاسية قال فيها : " إن ندوة العلماء حركة تعليمية توجيهية ، ومؤسسة دعوية تربوية قدم فكرتها العالم الجليل الشيخ محمد علي المونغيري ، ووافق عليها علماء الهند الكبار ، فكان إنشاؤها في ١٨٩٢م ، وقد مرت على ذلك أكثر من مأة وثلاثين عاماً ، فكان من أنشطتها التعليمية دار العلوم التي تزود الطلاب بالعلم والثقافة ، وهم يحملون رصيداً كبيراً من العلوم والفنون حينما يتخرجون من هذه الدار .

وقد أنشأت دار العلوم للتدرب على اللغة العربية نطقاً وكتابةً النادي العربي ، وهو مستمر في إنشاء الذوق العربي في طلاب دارالعلوم ، فتعود المسئولية على الطلاب أن يغتنموا هذه الوسائل المتاحة من قبل دارالعلوم ، ويكونوا بارعين في اللغة العربية .

أدار الحفلة الأمين العام الجديد للنادي العربي ، وحضر أساتذة المعهد كلهم ، ومنهم الأستاذ شبير أحمد الندوي مسئول المعهد ، والأستاذ مطيع الرحمن عوف الندوي مساعد المسئول ، وانتهى الحفل بدعاء رئيس الحفل .

(١) العالم الكبير الشيخ الرحالة محمد بن ناصر العبودي إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

فقد العالم الإسلامي العالم الجليل ، الرحالة الإسلامي ، الداعية المتجول ، الكاتب الشهير الشيخ محمد بن ناصر العبودي في ١/ ذي الحجة ١٤٤٣هـ ، المصادف ١/ يوليو ٢٠٢٢م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشخ العبودي من مدينة بريدة بالمملكة العربية السعودية ، شغل مناصب جليلة في شئون التعليم والدعوة ، فكان شيخ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ومساعد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي إلى مدة طويلة ، سافر إلى حوالي ١٦٠/ دولة ، وكل ذلك اطلاعاً على أحوال المسلمين وأوضاعهم ، وقد صدرت من قلمه أكثر من ٢٠٠/ مؤلَّف ، وكلها باللغة العربية .

وُلد الشيخ عام ١٣٤٥هـ المصادف ١٩٢٦م ، وتلقى العلوم الإسلامية من مشايخ المملكة أمثال الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد ، والشيخ عمر بن محمد بن مسلم ، والشيخ صالح بن أحمد الخريصي ، أثرى الشيخ محمد بن ناصر العبودي مكتبة الرحلات الأدبية الإسلامية بتآليفه وكتاباته ، وقد ألف المعاجم حول مواضيع مختلفة ، وقد مُنح جوائز تقديرية تكريماً لأعماله وإنجازاته .

كانت علاقة الشيخ العبودي بندوة العلماء والعلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي وطيدة ، وقد زار ندوة العلماء مرات ، وكلما زاره شخص في مكتبه من الإخوة الندويين سُرَّ به سروراً .

تعتبر وفاته حادثة كبيرة لأسرة ندوة العلماء ، ونحن إذ نعزي أسرته ندعو الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ويدخله فسيح جناته .

(٢) العالم الرباني الشيخ محمود آفندي إلى رحمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بالعالم الرباني الشيخ محمود آفندي من تركيا في ٢٢/ ذي القعدة ١٤٤٣هـ ، ٢٣/ يونيو ٢٠٢٢م بالغاً من العمر ٩٣/ عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ محمود مصلحاً كبيراً وعالماً ربانياً ، اشتغل طول حياته بجانب التزكية والإحسان ، فتاب على يديه عدد وجيه من الشعب التركي ، واختاروا حياة التقوى والطهر والعفاف ، وقد بلغ عدد أتباعه

إلى ملايين ، فقد فجعهم الحادث وسادهم الحزن والأسى ، غفر الله له ورحمه رحمة واسعة .

وُلد الشيخ محمود عام ١٩٢٩م في منطقة أوف بمحافظة طرابزون التركية ، وحفظ القرآن الكريم ، وتلقى العلوم الإسلامية من أساتذة كبار ، وظل إماماً وخطيباً في أحد مساجد إستانبول ، أفاد من خلال ذلك بالتدريس والتعليم والتربية العامة .

وقد قدَّر الله تعالى لي أن أحضر في حفل تكريمه بجائزة الإمام محمد قاسم النانوتوي العالمية التي منحها إياه فضيلة الشيخ المحدث محمد عوامة في أحد فنادق تركيا ، وكان الحفل رائعاً حضره علماء العالم الإسلامي في ١٤ – ١٧ ذو القعدة ١٤٣١هـ ، المصادف ٦ – ٩ أكتوبر عام ٢٠١٠م ، وذلك تنويهاً بخدماته التي أنجزها نحو إعداد الرجال على المستوى العالمي .

غفر الله له ، وأدخله فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

(٣) الأستاذ الطبيب السيد أحمد الحسني الندوي في ذمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأستاذ الطبيب السيد أحمد الحسني الندوي رئيس جمعية الشيخ محمد الثاني الحسني التعليمية والخيرية بدارة الشيخ علم الله الحسني بمديرية رائ بريلي الهند ، عن عمر يناهز ٦٨/ عاماً ، وذلك في ١/ ذي الحجة ١٤٤٣هـ ، المصادف ١/ يوليو ٢٠٢٢م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وقد صلى عليه سماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، ودُفن في مقبرة دارة الشيخ علم الله الحسني رحمه الله .

كان الأستاذ الطبيب أحمد الحسني من خريجي ندوة العلماء في السبعينيات من القرن المنصرم الميلادي ، درس علم الطب في كلية الطب بعلي جراه ، ثم توظف في مستشفى حكومي في رائ بريلي ، وتقاعد منه ، وأصابه شلل في جسده ، فكان عاجزاً عن الحركة والتنقل ، ثم فاجأه الأجل المحتوم ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

ترك الأستاذ أحمد الحسني وراءه أسرة حافلة بالابن السيد محمد أحمد الحسني الندوي ، وعدة بنات ، والأهل ، وكان من إخوانه السيد حسن الحسني والسيد حسين الحسني رحمهما الله تعالى .

رحمه الله رحمة واسعة ، وأغدق عليه شآبيب رحمته ، وأدخله فسيح جناته .

بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ب ٩٣، ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)
الفاكس: ٠٥٢٢- ٢٧٨٧٧١٠

AL-BAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
FAX:0091-522,2741221-2741231
E-Mail: albaas1955@gmail.com

رسالة أخوية مهمة

حضرة الأخ القارئ الكريم! حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فأتمنى على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة جيدة، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة: "البعث الإسلامي" وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهادفة، تصدر من ٦٧ /عاماً بالاستمرار، وهي تجتاز الآن عامها الثامن والستين - والحمد لله - ونرجو الله سبحانه أن يوفر لإتمامه جميع الوسائل اللازمة ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين.

لا يخفى عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً، وبتكلفة باهظة، ولاسيما بعد تضاعف أجرة البريد فهي بأمس حاجة إلى تعاون كريم منكم، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشيء من الاهتمام بتوسعة نطاق مشتركين جدد من جملة إخوانكم وأصدقائكم، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول.

أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من أحد البنوك باسم:

AL-BAAS, A/C No. 10863759846
IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157
STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم المخلص
سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الإسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء، ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2021 To 2023
Published on: 3rd of Every Month
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04

Despatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 400/-

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 68 Issue. No.07, August 2022

إصدارات حديثة

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين

(في ثلاثة مجلدات بالعربية والأردية)

تأليف

الأستاذ الدكتورتقي الدين الندوي

الناشر

مركز الشيخ أبي الحسن الندوي

الجامعة الإسلا مية ، مظفر فور، أعظم جراه (الهند)

٠٠٩١٩٤٥٠٨٧٦٤٦٥

Designed by Hamid, Mob:9889654027,9918687777, E-mail:hrhamid1962@gmail.com

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
(Dept. of Journalism & Publicity) at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor: SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI